ياعيـــل

امرأة حابر القيني

وأنشودة النصرة

سعاد الجبلاوي

٢٠٢٢

ياعيل امرأة حابر القيني

بقلم : سعاد صبري الجبلاوي
إخراج فني : صفوت نظير
كومبيوتر: فؤاد حكيم
تصميم الغلاف: مورننج ستار ت: ٢٦٢٤١٢٧٧
يطلب من مكتبة الإخوة وفروعها:

يطلب من مكتبة الإخوة :
٣ ش أنجه هانم - شبرا مصر - ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤
مصر الجديدة : ٦٥ ش نخلة المطيعي - تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣
الإسكندرية : ٦ ش الفسطاط كليوباترا ت: ٥٤٦٥٣٦٦
المنيا : ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦
أسيوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨
ومن المكتبات المسيحية الكبرى

Printed in Egypt

رقم الإيداع بدار الكتب القومية : ٨٨٦٣/ ٢٠١٠
طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران
Printed in Egypt

مقدمة الطبعة الأولى لخادم الرب الراحل/
فهمي يوسف

لقد عانت ياعيل امرأة حابر القيني مِن تصالح زوجها مع ملك حاصور، وخضعت، لكنها اشتاقت أن تقف مع شعب الرب إلى أن واتتها الفرصة، فقضت على رمز من رموز الشيطان وهو سيسرا، فترنَّمَ شعب الرب بأطول ترنيمة بالكتاب المقدس من ترانيم النساء الثلاث، التي نلاحظ أن المرات الثلاث التي رنَّمت فيها النساء في الكتاب المقدس كان ذلك بالارتباط بالقضاء على رمز من رموز الشيطان «فرعون» (خر١٥)، «يابين ورئيس جيشه سيسرا» (قض٥)، ثم «جليات» (١ صم ١٨).

لقد أشادت دبورة في ترنيمتها بما قامت به ياعيل وقالت: «تُبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القيني. على النساء في الخيام تُبارك. مدت يدها إلى الوتد ويمينها إلى مضراب العملة وضربت سيسرا وسحقت رأسه. شدخت وخرقت صدغه. بين رجليها انطرح .. سقط مقتولاً».

لقد استخرجت لنا كاتبة هذه السطور دروسًا لفائدتنا في حروبنا الروحية، فليت الرب يعطينا أن نتعلَّم مما كُتب لتعليمنا.

مقدمة الطبعة الثانية

ظُلمت المرأة كثيرًا، ليس من المجتمع الذي ينظر إليها كجسد، أو كسلعة، أو على أفضل تقدير وسيلة للإنجاب، بل من الشيطان نفسه، عندما أغواها فحصلت في التعدي، لكن شكرًا للرب! فإن كان الشيطان قد استخدم المرأة لدخول الخطية، فإن الرب قد أكرم المرأة ليأتي منها المسيح، مَن سحق رأس الحية.

يعلِّمنا الكتاب أن للمرأة قيمة كالرجل تمامًا، إذ يقول: «خلق الله الإنسان على صورته .. ذكرًا وأنثى خلقهم»(تك ١ :٢٧)، أيضًا «مُعينًا نظيره» (تك ٢ :١٨). وللمرأة دور بارز في حياة المسيح، حسب الجسد، فالمرأة هي أول مَن أُعلن لها عن تجسَّده (المطوَّبة مريم)، وأول مَن اعترفت به ربًا (أليصابات)، وأول مَن وقفت تسبحه (حنَّة بنت فنوئيل)، وأول مَن دعمته في خدمته التجوالية (لو ٨)، والوحيدة التي أدركت أنه سيموت ويقوم وأنعشته بطيبها (مريم أخت لعازر) (يو ١٢)، بل وأول مَن تمتعت بظهوره، وأذاعت بشرى قيامته (مريم المجدلية) (يو ٢٠).

وإن كان الرجال والنساء متساوين في القيمة أمام الله، لكنهم مختلفون في الأدوار، ليس على أساس الأفضلية، بل الأسبقية في الخلق (١تي٢:١٢ و١٣).

وفي هذا الكتاب تناولت الكاتبة الفاضلة الأخت / سعاد الجبلاوي واحدة من نساء العهد القديم قلما تحدث عنها أحد، وهي «ياعيل»، التي باركتها دبورة في ترنيمتها مع باراق (قض٤)، وهي واحدة من ترانيم نسائية سبع وهي: ترنيمة مريم أخت هارون (خر ١٥ :٢٠)، وحنَّة أُم صموئيل (١صم٢)، والنساء اللاتي سرن وراء داود (١صم١٨)، وتسبيحة المطوبة مريم أم يسوع (لو١)، وتسبيحة أليصابات (لو١)، وتسبيحة حنة بنت فنوئيل النبية (لو٢).

وعلى الرغم من أن ياعيل ليست من شعب إسرائيل، إلا أن غيْرتها ومحبتها جعلت نعمة الله تأتي بها من بعيد، فليس عند الله محاباة «ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعًا واحدًا في المسيح يسوع» (غلا ٣:٢٨).

ليت القارئ والقارئة العزيزين، وهما يطالعان هذا الكتاب الجميل، يلتقيا برب ياعيل، الذي وُلد من عذراء الجليل، ودُعيَ اسمه عمانوئيل، المسيح ابن الله الوحيد، الذي جرَّد الرياسات والسلاطين، فينضم لزُمرة المفديين، وينشدا نشيد الغالبين. آمين

صفوت تادرس – خادم الإنجيل

مَنْ هي ياعيل؟

ياعيل هي امرأة حابر القيني الذي من نسل يثرون حمى موسى، وفي ترنيمة دبورة بُوركت ياعيل على النساء لأنها حاربت حروب الرب كالرجال وقتلت بيدها سيسرا رئيس جيش يابين ملك حاصور الذي ضايق إسرائيل مدة ٢٠ سنة وكان له تسع مئة مركبة من حديد، إلى أن صرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وكانت دبورة قد أنبأت باراق أن «الرب يبيع سيسرا بيد امرأة» (قض٤:٩)، فكانت ياعيل هي هذه المرأة التي باع الرب بيدها سيسرا. ومعنى اسم ياعيل "وعلة متسلقة".

وفي تأملنا لما أورده الكتاب عن «ياعيل» سنرى كيف أخذت مقامها الصحيح كامرأة، وكيف رفضت أن تحصل على أمان على حساب شعب الرب، وكيف حاربت حروب الرب بالأسلحة المتاحة لها، وسنرى كيف عاشت غريبة في خيمة، وكيف بضعفها كامرأة لم تخف من العدو، بل سحقته، مستخدمة السلاح المتاح لها، وكيف كان لمجد الله اعتبار في حياتها، ولم تَنَم بالخيمة والمعركة دائرة، وكيف أنها حاربت من موقع النصرة، وسنعرف مَنْ عَلّم ياعيل القتال.

سعاد صبري الجبلاوي

م	الموضوع	صفحة
-	مقدمة الطبعة الأولى	٣
-	مقدمة الطبعة الثانية	٥
-	من هي ياعيل؟	٧
١	امرأة نبيَّة تقضي للشعب وتخلصه	١١
٢	مَن علم ياعيل القتال؟	١٩
٣	المؤمن يدخل الحرب من موقع النصرة	٤٧
٤	عندما جاء سيسرا إلى خيمتها لم تعطه فرصة للنجاة	٦٩
٥	حتمية الهلاك	٧٥
٦	ياعيل لم تعلم بالقوة الكامنة فيها	٨١
٧	الله لا يتركنا بلا موارد	٨٧
-	كتب للمؤلف	١٠٧

امرأة نبيَّة تقضي للشعب وتخلِّصه

«وعاد بنو إسرائيل يعملون الشَّر في عيني الرب بعد موت أهود. فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور ورئيس جيشه سيسرا وهو ساكن في حروشة الأمم. فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسع مئة مركبة من حديد وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة» (قض ٤ : ١-٣).

يحدثنا سفر القضاة عن تاريخ شعب إسرائيل خلال فترة حكم القضاة، بعد أن دخل بنو إسرائيل أرض كنعان، ويرينا فشل إسرائيل بالقيام بمسئولياته، وهو سفر اللا ملك، وعدم الطاعة، والضعف والفشل.

وفي الجزء الذي سنتأمله، نرى الرب يستخدم امرأة نبيَّة هي «دبورة» لتقضي للشعب وتخلِّصه من أعدائه. وذلك لأنه وكما

قالت دبورة: «خُذِل الحكام في إسرائيل» (قض٥:٧)، كما ويَستخدم ياعيل للقضاء على سيسرا. فهنا نرى عدوًا آخر يضايق بني إسرائيل، بعد أن قضى عثنيئيل على ملك أرام النهرين، وبعد أن قضى أهود على عجلون ملك موآب. هنا نرى «يابين ملك كنعان» عدوًا من وسط الشعب، ساكنًا في «حروشة الأمم» مدينة الحرفيين في شمال كنعان وقد ضايق إسرائيل بشدة عشرين سنة.

«ودبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت .. فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي وقالت له: أ لم يأمر الرب إله إسرائيل؟ اذهب وازحف إلى جبل تابور وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون، فأجذب إليك إلى نهر قيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه ليدك» (قض ٤:٤-٧).

لقد دعت دبورة «باراق بن أبينوعم» لكي يخلِّص إسرائيل مؤكدة له أن الرب سيجذب سيسرا ويدفعه ليد باراق، لكن باراق كانت تعوزه الشجاعة، ولم تكن له ثقة كافية في شدة قدرة يد الله وأراد أن يرتكن على سند بشري.

«فقال لها باراق: إن ذهبتِ معي أذهب. وإن لم تذهبي معي فلا أذهب. فقالت: إني أذهَب معك غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها. لأن الرب يبيع

سيسرا بيد امرأة. فقامت دبورة وذهبت مع باراق إلى قادش» (قض ٤: ٨-٩).

آه! هل ترى إلى أي مدى «خُذل الحكام في إسرائيل»؟ إن الرب يعلن له عن النصرة الأكيدة «أدفعه ليدك» وهو يخاف الذهاب وحده، وهل سيذهب وحده؟ كلا! فالرب أمامه وسيدفع عدوه ليده، لكن هذا هو التخاذل مما سيجعله يفقد جزءً من كرامة النصرة. أين أنت يا باراق من كاتب مزمور ١٤٦ «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم .. طوبى لمَن إله يعقوب مُعينه، ورجاؤه على الرب إلهه» (مز ١٤٦: ٣ و٥)، إن الله هو المُعين القادر وحده، أما الإنسان فلا خلاص عنده. لكن هذا ما قاله باراق وذهبت دبورة معه إلى قادش.

«ودعا باراق زبولون إلى قادش وصعد ومعه عشرة آلاف رجل. وصعدت دبورة معه. وحابر القيني انفرد من قاين من بني حوباب حمى موسى وخيم حتى إلى بلوطة في صعنايم التي عند قادش» (قض ٤: ١٠-١٢).

هنا سنأتي إلى الكلام عن حابر القيني زوج ياعيل. لقد ترك أبناء القيني حمى موسى أريحا – مدينة النخل – وذهبوا إلى برية يهوذا جنوب عراد وسكنوا هناك (قض ١:١٦)، أما حابر فقد رحل إلى الشمال وكان على الحياد بين بني إسرائيل وأعدائهم، وقد تصالحَ مع ملك حاصور لخوفه من أي اعتداء عليه، لما له من قوة

وعتاد كبير.

آه يا حابر! أ تخاف مركبات سيسرا التسع مئة التي من حديد أم تخشى مضايقته كما ضايق بني إسرائيل؟! إن هذا التصالح هو مظهر من مظاهر الخوف وعدم الثقة التامة في قدرة يد الرب على حماية شعبه. مَن ذا الذي يمسَّكُ بأذى أو إهانة وأنت في حراسة الرب وحماه؟ إنه العرج بين الفرقتين (١مل ١٨: ٢١) والامتناع عن الاختيار لجانب من الجانبين، أ تريد أن تخدم سيدين؟ (مت ٦: ٢٤)، إنها مستحيلة يا حابر! إنك تشبه حالة الكنيسة اللاودكية (رؤ٣: ١٤- ٢٢) «أنك لست باردًا ولا حارًا. ليتك كنت باردًا أو حارًا. هكذا لأنك فاتر ولست باردًا ولا حارًا أنا مزمع أن أتقيأك من فمي». إنها حالة كريهة ممقوتة، مكدِّرة لقلب الرب، مع مَن أنت؟ «لمَن أنت؟» (١صم ٣٠: ١٣). إن الخوف جعلك غير واضح المعالم، أ تريد أن تتوكأ على قصبة مرضوضة؟ إن الذخيرة الحقيقية للحماية هي في الاتكال على الرب والالتصاق بشعبه والثقة في شدة قدرته وقوته في حمايتهم. ألا تعرف أن الرب لا يُسر بقوة الخيل ولا يرضى بساقي الرجل (مز١٤٧: ١٠)؟

إن يهوشفاط الصالح قال في صلاته وهو يواجه جيوش الأعداء: «يا إلهنا ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا، ونحن لا نعلم ماذا نعمل لكن نحوك أعيننا». فمَن له هذا الإله الكلي القدرة يجب ألا يخاف ويتصالح مع الأعداء ليتقيهم أو يتصالح مع العالم خوفًا من المخاطر، كلا بل ينفصل عن العالم ويجثو على

ركبتيه عند هبوب الرياح العاصفة أو الأعداء، فيأتيه العون في حينه.

لقد شابه حابر داود في خوفه «وقال داود في قلبه إني سأهلك يومًا بيد شاول، فلا شيء خيرٌ لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين»، ثم في ١صمموئيل٢١:١٠ «قام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش ملك جت»، ولو أنه ظَل في الجبال بلا مأوى، لمَا وضع نفسه في قبضة العدو، ولمَا قيل عنه إنه مجنون ولمَا اُضطر إلى أن يغيِّر عقله ويخربش على مصاريع باب الملك الفلسطيني. إنه حَفَرَ آبارًا مشققة لا تضبط ماء.

إننا إذا مسكنا العصا من الوسط وكنا مع العالم ومع شعب الرب، لن ننال رضا هذا ولا ذاك، وهذا ما حدث مع داود، وشك فيه الفلسطينيون ولم يثقوا به ولم يعتبروه واحدًا منهم. على أن الله هو الذي لم يسمح لهم بالثقة في داود، حتى لا يحارب صفوف الله الحي، بل أرجعه ليحاكمه خفية على انحرافه (١صم ٣٠)، ولو كان قد بقي في جبال يهوذا، لنجا من كل هذه الأحزان وصار له الله سور نار حوله. هذا ما لم يدركه حابر القيني وعلينا نحن أن ندركه ونترك الفتور والحلول الوسطى والتصالح مع العالم.

إن الشعب الذي مع باراق ودبورة كانوا قليلين في العدد، وكان سيسرا له تسعمائة مركبة من حديد.

وفي مزمور٨٣: ٩ وجد آساف في تاريخ القضاة ما يقوي

إيمانه، فتذكَّر ما فعله جدعون عندما أخطأ الشعب إلى الرب، فدفعهم ليد مديان سبع سنين واعتزت يد مديان ولم يكونوا يتركون للشعب قوت الحياة وكان المديانيون متحالفين مع العمالقة وبني المشرق، وكانوا يجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجِمالهم عدد، لكن الرب أعطى خلاصًا عظيمًا برهانًا أن الحرب للرب، برغم أن عدد المحاربين الذين اختارهم الرب كانوا فقط ٣٠٠ رجل.

وكان آساف يتذكر ما حدث مع المديانيين ليعود ويطالب الرب أن يشمِّر عن ذراع قوته ويقاتل عن شعبه فيقول: «افعل بهم كما بمديان»، ثم يكمِّل: «كما بسيسرا كما بيابين في وادي قيشون» (مز٨٣: ٩). نعم! إن الشعب الذي مع باراق ودبورة قليل، ونعم! لسيسرا مركبات حديد، لكن الحرب للرب، والرب دفع جيش سيسرا بمركباته وجرفتهم مياه قيشون. إن قيشون نهر صغير يجري عبر سهل يزرعيل (مجدو) ويصب في البحر المتوسط إلى الشمال من جبل الكرمل والذي حدث هنا أن منسوب المياه فاض بأمر الرب حتى فاض النهر، فغاصت مركبات سيسرا، فهلكوا، فكان قيشون ليابين، مثلما كان البحر الأحمر لفرعون، برغم أن قيشون نهر صغير، لكنه صار مسرحًا للانتصار. فما أسهل على الرب أن ينتقم من أعدائه وأعداء شعبه ومذليهم! وما يشجع إيماننا أن إلهنا ليس عنده تغيير، وكما كان، هكذا يكون أمينًا. وكما اجتمع سيسرا بجيوشه ومركباته عند نهر قيشون وهناك هلك في

الموقع الذي اجتمعوا فيه، ففي صلاة دبورة ونشيدها نرى نبوة عن نهاية كل مَن يقف في وجه الله وشعبه، ليكون مصيرهم مصير الذين سبقوهم، وما فعله الرب أيام باراق يتكرَّر كل يوم وسيتكرَّر نبويًا وهكذا «يبيد جميع أعدائك يا رب» (قض٥: ٣٢). فإن قام الرب، تبدَّد كل أعدائه «والقوي لا يشدد قوته والبطل لا ينجي نفسه» (عا٢: ١٤).

مَن علَّم ياعيل القتال؟

إن ياعيل امرأة، فمَن علَّمها القتال؟ يقينًا ضمت صوتها مع داود الذي قال: «الذي يعلِّم يديّ القتال وأصابعي الحرب» (مز١٤٤: ١)، وهو ما جاء أيضًا لداود في نشيده، نشيد الانتصار الذي كلَّم الرب به في اليوم الذي أنقذه من أيدي أعدائه ومن يد شاول (٢صم٢٢:٣٥)، فقال: «الذي يعلِّم يديَّ القتال فتُحنى بذراعيَّ قوس من نحاس».

إن داود كان غلامًا يرعى غنيمات أبيه، لكن الله جعل منه محاربًا، ليكون مُخَلِّصا لشعبه، هذا الذي حتى أبيه يسى احتقره ولم يَدْعُه لحضور الذبيحة التي دعا إليها صموئيل يسى وبيته، فاستثنى يسى داود لأنه غلام ولم يكن يومًا رجلاً محاربًا مثل إخوته: أليآب وأبيناداب وشمة، ولم يتعلَّم داود فنون القتال، لذا يؤكد ويقول إن الذي علَّم يديه القتال ليس سوى الرب، الذي جعل منه مَلِكًا منتصرًا. لذا يعلن داود إلى أي مدى تعلَّم من الله، حتى أن قوس

النحاس تُحنَى وتتفتت بيديه. ونحن، مَنْ سوى الروح القدس خير مدرِّب لنا كجنود للمسيح، تُحنَى بأذرعنا أقواس من نحاس؟ مثل هذه الأقواس لا يمكن ثنيها بالذراع، لكنها بيد الإيمان تُحنَى وتتفتت. والمقصود هنا قوس الأعداء، أي حرب بمواجهة مثلما واجهت ياعيل سيسرا، فقوس الأعداء نُزعت وقوتهم سُلبت وتحطمت وصارت عديمة النفع.

هذا ما فعله الرب يسوع ونحن سرنا في موكب نصرته، هو حَطَّم سهام الشيطان، ودمَّر أقواسه في مواجهة الجلجثة، وأكسبنا النصرة وعلَّمنا القتال وجعلنا أبطالاً وجنودًا للرب.

لقد كان جدعون يخبط حنطة في المعصرة، لكي يهربها من المديانيين (قض ٦:١١)، لكنه هَزَم جيوشهم التي كانت كالجراد في الكثرة، فمَن علَّمه؟ مَن سوى الرب المُعلِّم.

ياعيل أيضًا لم تكن يومًا قد دُرِّبت بيد أحد للحرب، فمَن الذي علَّمها سوى «الذي يعلِّم»؟ ومَن مثله مُعلِّمًا؟ ليس كما يعلِّم الإنسان، يعلِّم هو.

وهذا التعليم يمتد إلى أصغر الأعضاء في جسدنا، فالرب يعلِّم الأصابع كما يعلِّم الأيدي، فلو لم تكن الأصابع مدربة جيدًا، فإن اليد كلها تصير عاجزة ولو كانت أصابع ياعيل ليست مدربة، لما قدرت أن تمسك بوتد الخيمة وتجعل الميتدة في يدها لأنه إن كانت لنا القوة، فذلك لا يكفي بغير أن تكون لنا المهارة، والذي يعطينا القوة،

يعلِّمنا كيف نستخدمها، فيمنحنا المهارة. والتدريب العملي أهم من التدريبات النظرية، فقد نتعلَّم أهمية محاربة العدو وأهمية الوقوف ضد التيار في حياتنا الروحية، وأن محبة العالم عداوة لله، وأن الاتصال بالعالم بفساده ينتج عنه الانفصال عن الرب، لكن وقت الامتحان بكل هذا هو الوقت لاستخدام التدريب النظري للحصول على النصرة عمليًا، فنكتسب المهارة الروحية ونتعلَّم فنون الحرب.

وهذا يأتي بنا إلى نقطة أخرى وهي أن الرب باع سيسرا بيد امرأة، حتى لا يظن أحد أن الرجال وحدهم هم المعدَّون للحرب، وهم وحدهم الذين يتعلَّمون من الله، كلا، فالذي علَّم النساجين والمشتغلين في أعمال النحاس هو الذي أعطى للنساء والرجال ليصنعوا كل ما أمر به لأجل خيمة الاجتماع. فالنساء أيضًا كان منهن متجندات لخدمة خيمة الاجتماع (خر٣٨:٨). لا فرق، وكل حكمة ومهارة هي من الله وينبغي أن نشكره عليها ونعطيه المجد. فالذي دعا داود ليكون رجل حرب وأفلحه حيثما توجَّه، هو الذي باع سيسرا بيد امرأة، وهو القادر أن يستخدمني ويستخدمك، لمجد اسمه، فهو ليس فقط يعطي القوة لقديسيه، بل هو نفسه قوتهم ومتكلهم وهو صخرنا الذي منه نستمد قوتنا.

قد نكون في بداية حياتنا الروحية ليني الأصابع، لا نقدر أن نمسك بالرماح أو الميتدة، كما كانت أصابع داود لا تقدر إلا على اللعب على الأوتار والقيثارات، لكن الرب الذي يعلمنا القتال، يدربنا

يومًا بعد يوم لنكون نافعين للخدمة، لأنه هو وحده الـــذي يعطـــي الحكمة والقدرة.

ترى – أخي وأختي – هل نحن «متعلِّمُون الحرب»؟ لقد جـــاء في نشيد ٣: ٧ و٨: «هوذا تخت سليمان حوله ستون جبـــارًا مـــن جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفًا ومتعلِّمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل». إن تخت سليمان يشير إلى فراش راحته في الليل، وهذا يشير أن لفادينا ومعبودنا الرب يسوع المسيح هنا على الأرض مكانًا يجد فيه راحته، وهذا يتطلب أن يكون فـــي القرب منه وحوله رجال أُمناء «متعلِّمُون الحرب». لكن ما معنى: «متعلِّمُون الحرب»؟ لقد تناهى الليل، إلا أنه لم ينتهِ بعد، ولن ينتهي إلا عند مجيء الرب لنا كنيسته، ككوكب الصبح المنير بالاختطاف، ثم بالظهور للشعب الأرضي كشمس البر.

أما الآن ولا سيما في الأيام الأخيرة التي وقعت قرعتنـــا فيهـــا، فالهجوم على شخصه الكريم ما أشرسه وما أكثر الكلمات الـــصعبة التي يتكلَّم بها الخطاة الفجار ضد شخصه الكريم وأمجـــاده وحقـــه الثمين!! وعلينا نحن المؤمنين رجالاً ونساء أن نكـــون «قابـــضين سيوفًا» لمواجهة هجمات العدو بسيف الروح الذي هو كلمـــة الله. وعلينا أن ندرك أن أعمال الفجور هي ضد الإنسان نفسه أو ضـــد أخيه الإنسان، وهي لا تعمل في كل وقت ولا فـــي كـــل ظـــرف وكثيرون من غير المؤمنين يشمئزون منها أما «الكلمات الـــصعبة

التي تكلَّم بها عليه خطاة فجَّار» (يه ١٥)، فهي في كل وقت وفي كل ظرف، وكثيرون من غير المؤمنين يُخدَعون بها، وهي موجهة ضد الرب يسوع المسيح وحقه الثمين، لذا نحن الذين اُستؤمنا على الحق، علينا أن نقبض بسيوفنا لمواجهة كل البدع والكلمات الصعبة، وأن نقف صفًا واحدًا «مجاهدين لأجل الإيمان المسلَّم مرَّة للقديسين»، وأن نكون حراسًا، ساهرين على حقائق الإيمان الجوهرية المتعلقة بأمجاد ربنا يسوع المسيح المتنوعة وكلنا «قابضون سيوفًا .. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل». وفي ٢صموئيل ٢١: ١٠ نرى امرأة وهي رِصْفَة بنت أيَّة، في مشهد إيمان استحق التسجيل، فقد عملت عملاً تقويًا، إذ جعلت نفسها حارسة للجثث السبع، وهي أُم لاثنين من هؤلاء السبعة، وفرشت لنفسها المسوح لكي لا تتركهم لكواسر الطيور النجسة طعامًا أو الوحوش «ولم تدع طيور السماء تنزل عليهم نهارًا ولا حيوانات الحقل ليلاً». وكُوفيء إيمان رِصْفَة «فأُخبر داود بما فعلته رصفه ابنة أيَّة سرية شاول. فذهب داود .. وأصعد من هناك عظام شاول وعظام يوناثان ابنه وجمعوا عظام المصلوبين» (٢صم٢١: ١٢ و١٣).

ونالت رِصْفَة إجابة لطلب إيمانها. فهل نفعل فعلتها ولا ندع طيور السماء أو حيوانات الحقل تنهش في الإيمان المسلَّم مرة للقديسين؟ هل نكون جبابرة، نقبض سيوفنا ومتعلِّمين الحرب؟

وإن كان الكتاب يقول إن الجبابرة «ستون جبارًا .. كلهم قابضون سيوفًا»، فهذا لأن الرب يعرف الأُمناء واحدًا واحدًا بأسمائهم وأعمالهم وسيأتي سريعًا وأجرته معه ليجازي كل واحد كما يكون عمله «إذًا يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مُكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب» (١كو١٥: ٥٨).

ياعيل كانت أمينة وكان لمجد الله اعتبار في حياتها، فلم تقبل أن تنام بالخيمة والمعركة دائرة. ما أشبهها بالرجل أُوريَّا الحثِّي القديس الأُممي الذي من بني حث، لكنه ارتبط بشعب الرب وصار يقدِّر جلال تابوت الرب واسم الرب العظيم، حتى أنه رأى في موازين تكريسه للرب، إنه لا يليق له أن يتمتع براحته ويكون لجسده تمتع حتى بما من حقه، طالما المعركة دائرة ولم تنتهِ بعد.

لقد رأى أوريَّا أن مجد الله له الاعتبار الأول، وسِر قتله هو حرصه على مجد الله. لقد قال: «أُوريَّا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام .. وأنا آتي إلى بيتي لأكل والشرب وأضطجع مع امرأتي؟ .. لا أفعل هذا الأمر» (٢صم ١١:١١). فأول ما شغل باله عندما سأله داود: «أمَا جئت من السفر؟ لماذا لم تنزل إلى بيتك؟». نعم، أول ما شغل باله هو «التابوت». ويا له من أمر مُعزٍّ، أن يكون لهذا الأُممي هذا التقدير للتابوت ومجد الله وحضوره بين شعبه!

لقد أبى أُوريَّا على نفسه الراحة، بينما شعب الله نازل على وجه الصحراء، أبى أن يسترخي في بيته مع امرأته والحرب دائرة بين شعب الله وأعدائه. من أجل ذلك ورد ذكر أُوريَّا بين أسماء أبطال داود.

فلقد كانت حياته تحمل معنى اسمه «يهوه نوري» وهذا ما جعل هذا الرجل من العظام، لأنه أعطى التابوت مجدًا وكرامة، وما التابوت إلا صورة ورمز للرب يسوع المسيح في شخصه العجيب، الله الظاهر في الجسد. والتابوت بغطائه يمثل عرش الله في وسط شعبه.

لقد كان أُوريَّا يقدِّر حضور الله، لذا كأنه يدعو الليل أن يعبر مسرعًا ولا داعي للراحة فيه وكأن لسان حاله: «بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضًا بروحي في داخلي إليك أُبكِّر» (إش ٢٦: ٩).

نعم لقد كان لأُوريَّا قلب حكيم «وقلب الحكيم يعرف الوقت» (جا ٨:٥)، والوقت مقصَّر والمعركة دائرة، فكيف له أن ينام؟!

وهكذا هنا نرى ياعيل تعرف الوقت، إنه ليس وقت النوم والراحة والمعركة دائرة، إنه «وقت عمل للرب» (مز١١٩:١٢٧)، فهل لي ولك أخي القارئ أن ننفض روح الفتور والكسل؟ إنه ليس وقت لأخذ الفضة ولا أخذ الثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد، كما ظن جيحزي، بل «أنها ساعة لنستيقظ من النوم فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهي الليل وتقارب

النهار»، «فلا ننم إذًا كالباقين بل لنسهر ونصحُ»، فالصوت يدوي: «هوذا العريس مُقبل» (مت ٢٥: ٩). فيا ليت رجاء مجيء العريس يدعونا للخروج للقائه ولننفض الكسل والتراخي ولنضاعف همتنا ونشاطنا، فنخطو خطوات واسعة في طريق الإيمان، ولتبقَ عيوننا مستيقظة شاخصة على الدوام إلى الرب وقلوبنا صارخة: «آمين. تعال أيها الرب يسوع».

لنسهر ولنفتدِ الوقت. ولنتذكر أن الغَني الغبي (لو١٢:١٩) كان لا يعرف الوقت، إذ قال لنفسه: «يا نفس: لك خيرات كثيرة، موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي». والعبد الرديء كان لا يعرف أيضًا الوقت، فقال: «سيدي يبطئ قدومه» (مت ٢٤: ٤٨).

والمستهزئون السالكون بحسب شهوات أنفسهم لا يعرفون الوقت، فيقولون: «أين هو موعد مجيئه؟» (٢بط ٣: ٤)، فلنتحذر ولا نكون أغبياء، أردياء، أو مستهزئين. بل لنكن عارفي الوقت ومفتدين له وننتهز كل فرصة متاحة لنا لرفعتنا الروحية وللسهر والمواظبة على الصلاة واليقظة ضد حيل إبليس، كما ونفتدي الوقت لنقدم شهادة للنفوس من حولنا ولنخدم الرب ولنكثر في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب (١كو١٥: ٥٨).

إن يعقوب في رسالته يقرِّر أن: «كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا

كملت تنتج موتًا» (يع ١: ١٤-١٥).

وهذا عين ما حدث مع داود، حين كان في حالة عدم يقظة روحية «وكان في وقت المساء .. قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى امرأة من على السطح تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا .. هذه هي بثشبع .. امرأة أوريا الحثي .. فأخذها .. واضطجع معها .. وحبلت» (٢صم ١١: ٢-٥).

آه! لقد أخذ داود الغَني نعجة الرجل أُوريَّا الفقير لأنه لم يكن يقظًا، لو كان ساهرًا، لنجا نفسه من ضيقات كثيرة لازمت حياته وكان قد خَلُص من السيف الذي قضى على أربعة من أولاده. لقد كان في المساء يتمشى على السطح، ووقت المساء هو وقت خدمة المغنين في بيت الرب (١أخ٩: ٣٣). وها إمام المغنين يتمشى على السطح وقت المساء. وعبيد الرب لا ينامون بل يقفون في بيت الرب بالليالي «هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفون في بيت الرب بالليالي» (مز ١٣٤: ١)، فالليل وقت مناسب للتسبيح، وداود مرنم إسرائيل الحلو أعطى جسده فرصة، فسقط. والسبب أن داود لم يتمِّم كلام الرب وشريعته بأن يكون للسطح حائط يمنع السقوط (تث ٢٢: ٨)، ولم يضع سورًا لنفسه لضبطها، فخلع سلاحه واسترخى وقام وتمشى على السطح والشعب حامل سلاحه ويموت في الحرب!!

وعندما نذكر خطية داود، لا يجب أن ننسى توبته ودموعه وما

حَلَّ به، وذلك لنتحذر لأن «مَن يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط». ولا ننسى أيضًا صلاته في مزمور ٥١ بعد أن جاء إليه ناثان النبي برسالة له من الله تذكره بفعلته وبالقتل المُتعمَّد لأُوريَّا، فاخترق سهم الإدانة ضميره وكلمات ناثان: «أنت هو الرجل»، نعم أنت الذي أخذت التي لأُوريَّا وقتلت رجلاً يسند رأسه لينام على باب بيتك ووضعت بيده الآمنة لك وثيقة إعدامه. فألقى داود نفسه على رحمة الله، ونراه منسحقًا، مضطجعًا على الأرض في موقف التائب الحقيقي بضمير مجروح وقلب كسير، واضعا خطاياه جنبًا إلى جنب مع رأفة الله وكثرة رحمته، مدركًا أن سرور الله هو في غفران الخطية، وهو يبتهج بالرحمة، ويعترف في مزموره (٥١) أن الذبائح لم تستطع أن تعطيه غفرانًا لأنها لا تنفع في حالة الخطايا الإرادية، وهو لم يَقتل سهوًا، بل قتل عمدًا رجلاً بريئًا أمينًا لله، بعد أن سرق زوجته وزنا. لكن داود عرف كيف يتوب ولمَن يلجأ، فسكب نفسه أمام الله في صلاة، طالبًا الرحمة فهو الوحيد القادر على أن يشفي ارتداده.

وتذكَّر داود في مزموره (٥١: ١٨) أن سبب سقوطه هو عدم وجود سور الانفصال، فصرخ إلى الرب لأجل نفسه ولأجل الشعب: «أحسن برضاك إلى صهيون. ابن أسوار أورشليم»، حتى لا يسقط ساقط كما سقط هو، فالوصية كانت واضحة: «إذا بنيت بيتًا جديدًا فاعمل حائطًا لسطحك لئلا تجلب دمًا على بيتك إذا سقط عنه ساقط» (تث٢٢:٨)، فهو لم يعمل حائطًا وكان هو الساقط الذي

جلب الدم على بيته، فصرخ للرب حتى لا يفعل الشعب مثله.

لقد رثا داود قبلاً شاول وبيته، فقال: «كيف سقط الجبابرة؟» ونحن نقولها لداود في سقطته مع بثشبع التي لأوريا، ونحذر أنفسنا، فلسنا أفضل من داود الذي حسب قلب الله، فقلوبنا خداعة ونجيسة، فلنحذر ولا نثق في ذواتنا ولنعلِ سور الانفصال، ولنستيقظ، فالوقت ليس وقتًا للنوم، فالحرب دائرة والعدو يجول حولنا.

وإن كان داود، كما أشرنا في مزمور ٥١، قد تناول خلاصه من يد الله، فهو بلا شك قد أُقيم من سقطته ورُدت له بهجة خلاصه، ذلك لأن الله أبدي وخلاصه أبدي ويُسر بالرحمة. أما عن «التي لأُوريَّا» ففي متى ١:٦ نراها في سلسلة نسب الرب يسوع المسيح، لندرك انتصار النعمة على الخطية، وليس ذلك لأن الله لم يهتم بشناعة الخطية، كلا، بل لأن النعمة هي التي تملأ المشهد وإلهنا إله كل نعمة.

وإن كان داود قد حصد ما زرع وسقطته وعدم يقظته الروحية جلبت تأديبًا مريرًا عليه وعلى بيته، لكن إلهنا القدوس الذي يؤدب، هو في ذات الوقت المملوء نعمة، ومن خلال التأديب يعلن عن صفاته وكمالاته ويخرج من الأكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة، فمن داود نفسه ومن بثشبع نفسها جاء سليمان الذي أعلن الرب عن حبه له وأعطاه اسم «يديديا »، أي محبوب الرب.

أخي .. قد تكون لم ترتكب جرمًا مثلما فعل داود، لكن هل تظن

أنك لا تحتاج إلى توبة مثل توبته؟ لقد اتخذ داود هذا المركز أمـــام الله وهو شاعر بذنبه وخطيته، لكن ما أعظم الفرق بين ندمه ونـــدم يهوذا الإسخريوطي! فندامة يهوذا هي ندامة اليأس، بلا رجاء ودون معرفة حقيقية بالرب الذي يُسر بالرحمة، لذا كان لندامة مثل هـــذه عذاب أبدي. أما توبة داود المصحوبة بالـــشعور العميـــق بفـــساد الطبيعة وإدراكه للمحبة الإلهية الغافرة، كان لها صداها في قلب الله الذي يُسر بها.

وتذكر – أخي المؤمن – أن سبب السقوط هو عـــدم الـــسهر، وإزالة السور بينا وبين العالم. المعركة ما زالت مستمرة «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعـــه هو» (١بط٥:٨) وهو يعرف نقاط ضعفنا، وشـــهواتنا الـــشريرة، ويلتمس أن يبتلعنا. لذلك ينبغي أن نصحو ونسهر. هكذا فعلـــت ياعيل ولم تنم بالخيمة، مادامت المعركة دائرة، فصحيت وســـهرت وحاربت وانتصرت، فبُوركت.

لقد حاربت ياعيل بالأسلحة المتاحة لها «فأخذت ياعيـــل امـــرأة حابر وتد الخيمة وجعلت الميتدة في يدها، وقارتْ إليـــه وضـــربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض، وهو متثقِّلٌ في النوم ومتعـــب، فمات».

إن الناس في أعمالهم المتنوعة يطلبون الأقوياء، وفي حـــروبهم يستندون على العتاد، لكن الله هو إله الضعفاء الذين اختبروا الفشل

في ذواتهم، والذي خلع حق فخذ يعقوب وخمعه وضعف قوته الطبيعية في فنيئيل هو الذي أوجده في الحالة التي تسمح بأن يلبسه الله قوة روحية. وعصا بيد موسى تفجر ماء ليشرب كل الشعب، وجرار فارغة، بل ومكسرة بيد رجال جدعون الثلثمائة أفزعت أعداءهم وسببت انكسارهم وهروبهم، ووتد بخيمة ياعيل يسحق سيسرا الذي قدر أن يهرب من مركبات باراق وجيوشه.

وسلاح شاول لا يصلح لداود المحارب، لذلك نزعه كله ومال إلى الوادي وانتخب له خمسة حجارة ملس قائلاً: «أنت (شأنك شأن كل محاربي العالم وجنوده) تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود»، ورب الجنود لا يخزى منتظروه، فهو الذي صوَّب الحجر إلى الجزء الوحيد العاري في جسم جليات، إلى جبهته، فغاص فيها الحجر وسقط جليات على وجهه إلى الأرض، هذا ما يفعله رب الجنود.

ورب الجنود نفسه هو الذي أمسك بيد ياعيل، فمدتها إلى «الوتد، ويمينها إلى مضراب العملة، وضربت سيسرا وسحقت رأسه، شدخت وخرَّقت صُدغه .. فهناك سقط مقتولاً» (قض ٥:٢٦ و٢٧). سقط بالسلاح المتاح لها.

أما نحن، ففي حروبنا الروحية «مع الرؤساء مع السلاطين مع الولاة على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشَّر الروحية في السماويات». نعم! نحن أعدَّ لنا الله سلاحًا كاملاً، وقدَّم لنا

التحريض: «من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل» (أف ٦:١٣). علينا أن نحمل كل أجزاء السلاح بكاملها، وهذا لأن الشيطان محنك يراقب الأجزاء المكشوفة والتي ليس عليها الجزء الخاص بها من السلاح ويصوِّب إليها سهامه. فإن جاء العدو ووجد رخاوة روحية وتساهلاً ومشاكلة للعالم، فهذا معناه أن الأحقاء غير ممنطقة بالحق كما ينبغي، لذا التحريض: «فاثبُتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق». فالثبات أمام العدو مبارك، لكنه مشروط لأنه لا يمكن الثبات بدون منطقة الأحقاء بالحق، وذلك بطرح كل ما لا يليق وبالانضباط التام.

فالمحارب الثابت يجب أن يكون ممنطق الحقوين بالحق. والمنطقة تغطي القلب والصدر حتى الحقوين. فالعواطف والحاسيات والسلوك لا تنضبط إلا بالحق، فإن كان كلام الله وحقه الكتابي «كلامك هو حق» ممنطقًا بالروح القدس «روح الحق» تصبح عواطفنا محزومة، لا تتلامس مع أقذار العالم، فلا يزيغ قلبنا وراء مغريات العالم، بل تكون عواطفنا واهتماماتنا في السماء «فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣: ١ و٢).

فمنطقة الحقوين بالحق تجعل ليس للأركان العالم وتعاليم ووصايا الناس مجال في قلوبنا «إذًا إنْ كنتم قد متم مع المسيح عن

أركان العالم، فلماذا كأنكم عائشون في العـــالم؟ تفـــرض علـــيكم فرائض: لا تمس! ولا تذق! ولا تجس! التي هي جميعها للفناء في الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس، التي لها حكايـــة حكمـــة، بعبادة نافلة، وتواضع، وقهر الجسد، ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية» (كو٢: ٢٠).

أخي .. إن تعاليم ووصايا الناس هي منطقة، لكن ليست منطقة الحق، بل منطقة عبادة نافلة، وعلينا أن نتسلح بسلاح الله الذي أعده وأن نطرح كل ما هو غريب «اطرحوا عنكم أنتم أيـــضًا الكـــل» ونُمنطق أحقاءنا بالحق، وكلمة الله هي الحق وما دونها كله باطل.

لقد قال داود: «ها قد سُررت بالحق في الباطن»، والباطن هـــو في أغوار النفس، حيث الكلى التي هي بمثابة مصفاة للتنقية. وكم نحن بحاجة إلى منطقة الحق لنرفض الضلالات والتعاليم الغاشـــة، فما أكثر البدع في كنيسة الله اليوم!

لقد شجَّع الله أيوب مرتين قائلاً: «اشدد حقويـــك كرجـــل» (أي ٣٨: ٣، ٤٠: ٧)، والكلام لنا لكي نتشدد للحـــرب ونتقـــوَّى ونكـــون رجالاً، ممنطقين أحقاءنا بالحق، فهذا أول ما يرد ذكره في قائمـــة سلاح الله. ولا يمكن أن نُمنطق أحقاءنا ما لم نعرف أننا قد اُفتدينا، لقد كان على بني إسرائيل أن يأكلوا الفصح وأحقـــاؤهم ممنطقـــة وعصيهم في أيديهم وأحذيتهم في أرجلهم وهم في حما الدم، وذلـــك لأن الرب فداهم من مصر، فأصبحوا غرباء ومسافرين. ولنا نحن

النصيحة التي يُفهَم منها أننا غرباء في برية العالم والذي يعيننا على الجهاد ضد العالم وحيل الشيطان هو المنطقة بالحق، نحن الذين اُفتدينا ودُعينا للمجد الأبدي وإلى ميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

علينا نحن المؤمنين الذين اُفتدينا بدم كريم أن نجلس أمام الرب، كما جلس داود في ٢صموئيل ٧: ١٨ ونقول له ما قاله داود أيضًا في مزمور١٣٩: ٢٣ و٢٤: «اختبرني يا الله واعرف قلبي، امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقًا أبديًا». افحصني لئلا تكون مشاعري تخالف منطقة الحق التي أتمنطقها، أنا لا أترك الفحص الذاتي لئلا أتهاون مع نفسي، لكن أطلب أن تقوم أنت بفحص قلبي وأيضًا أفكاري.

أخي، لن نسمح للرب بهذا، إلا إذ كنا صادقين ونريد أن لا يبقى زغل يكدر الذهب النقي. إننا نريده أن يهدينا طريقًا أبديًا مؤسَّسًا على الحق الكتابي، لا الأعراف السائدة، وشكرًا لله! إنه يريد ويقدر أن يقودنا إذا رغبنا أن نمنطق أحقاءنا بالحق، فالأحقاء الممنطقة تشير إلى الانفصال والاستعداد للخدمة بالحق.

ليس في مقدورنا أن نقاوم الشيطان ونحارب حروب الرب ونحرز نصرًا، ما لم تكن أحقاؤنا ممنطقة بالحق، والأحقاء هي التي تعطي الرِجْلين القدرة على السير والسلوك المقدس للحقوين لا يأتي إلا بتغذية الإنسان الباطن بالرب يسوع المسيح، الذي لنا فيه كل

ذخائر النصرة. فمثلاً، إذا منطقنا حقوينا بحق مجيء الرب يسوع المسيح، هذا الرجاء الحي المبارك الصالح بالنعمة، إذا لمع هذا الحق أمامنا يؤثر في حياتنا وعواطفنا واهتماماتنا، فندرك أننا غرباء ونزلاء، لسنا مستوطنين في عالم كان سيدنا غريبًا فيه، بلا مأوى ومرفوضًا وندرك قول الرسول بولس في فيلبي ٣:٢٠ «فإن سيرتنا هي في السماوات التي منها أيضًا ننتظر مخلصًا هو الرب يسوع المسيح». نعم إنه رجاء مبارك (تي ٢:١١). ومعزٍ (١تس ٤: ١٣– ١٨)، يدعونا إلى طهارة النفس (١يو ٣: ١–٣)، إنه رجاء حي (١بط ١: ٣–٥)، لأن مخلِّصنا حي سيُحقق الرجاء ويجمع مفديه حوله، وهذا الرجاء يثبت قلوبنا (يع ٥:٨)، فما أمجده رجاء حين نتمنطق به!

وهيهات أن نتمنطق بالحق ما لم ننله من الرب ونتعلَّمه بالروح القدس، فيكون للحق قوة في حياتنا وسلوكنا! والشيطان يعلم جيدًا أن الحق يقدسنا ويفصلنا عن العالم، لذا يسعى دائمًا أن يجعلنا لا نتمنطقه، إنه لا يستطيع أن يخطفنا من يد الآب، لكن في وسعه أن يحل تمنطقنا قليلاً، فنزل، لذا التحريض: «اثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق».

ولنا سلاح آخر وُهِب لنا لنحارب به وهو «درع البر» والدرع يحمي الأجزاء الأعظم أهمية في الجسم، الدرع عدة الصدر، حيث القلب الذي منه مخارج الحياة، وكان الدرع الروماني يشابه

القميص الحديدي، مصنوعًا من رقائق نحاسية لوقاية الصدر والظهر والرقبة أيضًا. ودرع البر هنا لا يقصد به البر الإلهي الذي نلناه بالإيمان ولبسناه بالنعمة، بل البر العملي والاستقامة في كل طرقنا، والضمير غير الملام، بحيث لا يجد العدو فرصة للشكاية. فلنحترس! لأنه إذا سلك المؤمن في غير طريق البر، لا يكون له ضمير صالح، وبدون ضمير صالح، نصبح ضعفاء أمام العدو.

ثم نأتي إلى قطعة مهمة في سلاحنا الممنوح لنا في حروبنا «حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام».

إن الأرجل الحافية لا تصلح للسير في برية ساخنة رمالها حارقة وبها عقارب وحيات. وإلا تورمت الأرجل ولم تقوَ على حمل صاحبها، وتؤدي إلى التواء في السير يراه الآخرون. وفي نشيد ٧:١ يقول: «ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم»، فالأرجل منتعلة والخطوات متزنة بوقار وعظمة روحية، وفي حزقيال١٦ يعدد الرب إكرامه ومننه لشعبه، فيقول: «نعَّلتكِ بالتُّخَس»، فالأرجل المُحتذية تشير للاستعداد للسفر والرحيل والسير وراء الرب، والاحتذاء كما نرى هو «باستعداد إنجيل السلام».

وكنيسة الله مدعوة لأن تسلك وتسير في هناءة السلام الإلهي إزاء كل مشاكل ومشاق الطريق الذي نشعر ونلمس وعورته، لكننا نواجهه بإله السلام وأمامنا كلمات سيدنا المعبود، له كل المجد: «قد

كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام». وقبل أن يبارح الرب يسوع هذا العالم وينطلق إلى الآب، قال لخاصته: «سلامًا أترك لكم سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤:٢٧). فالسلام بالنسبة لنا عطية ممنوحة، بل وأيضًا امتلاك للعاطي والمانح «هو سلامنا». ففي وسط العالم المضطرب نحن حاذون أرجلنا باستعداد إنجيل السلام الذي نتمتع به ويملأ نفوسنا، ما دام إله السلام معنا.

والرب يسوع طوَّب صانعي السلام: «طوبى لصانعي السلام»، لأنه لا شيء يظهر وجودنا في حضرة الله ويلاحظه من حولنا، أكثر من السير في السلام. لذا من الضروري أن نحمي أرجلنا ونهتم بها لأن لها علاقة بسيرنا اليومي وتصرفاتنا كسفراء عن المسيح «حاذين أرجلنا باستعداد إنجيل السلام». ولا ننسَ أن الابن الضال عندما عاد إلى أبيه أمر الأب عبيده بأن يضعوا «حذاء في رجليه»، اللتين كانتا قبلاً تغوصان في وسط الأوحال في مراعي الخنازير، لكن الحال تغير ولبس الابن حذاء في رجليه، لذا لا يحق له أن يذهب بهذا الحذاء الجديد إلى طرقه القديمة في الكورة البعيدة، هذا لأن الاتجاه الأول الذي كنا نسير فيه في خطايانا والشهوات التي كنا منجذبين إليها قد تغير بعد الإيمان، وعلينا أن نسير ونمتد إلى ما هو قدام نحو جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع «حاذين أرجلنا باستعداد إنجيل السلام».

ثم علينا في كل الأحوال أن نُمسك بترس الإيمان «حاملين فوق

الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة».

الترس عدة حربية قديمة كان يُصنع من طبقتين من الخشب ويغطَّى بقماش سميك قوي، ثم يغطى من الخارج بطبقة من الجلد، وقبل المعركة كان الترس يُنقع في الماء، فيشرب منه الكثير حتى عندما يطلق العدو سهمًا ملتهبًا كان يُطفأ بمجرد أن يصطدم بالترس. ذلك لأن السهام كانت تُوضع في نهايتها ألياف سريعة الاشتعال، وتُغمس رؤوس السهام في الزيت وتُشعل وهي تُصوب نحو الهدف.

ونلاحظ أن الترس جاء بعد منطقة الحق، ودرع البر، وسلام الإنجيل الذي نحتذيه، أي ترس الإيمان فوق كل هذه الأشياء. فهو الذي نديره يميناً وشمالاً بكفاءة، طالما نمسك بالحق وبضمير مطهر وسلوك مكرَّس. وترس الإيمان الواثق بالله يطفيء جميع سهام الشرير الملتهبة. فالإيمان هو ثقتنا الكاملة أن الله معنا يحمينا ويحارب حروبنا، واثقين أن كل الأشياء معًا تعمل لخيرنا، فممن نخاف؟ الإيمان كترس يعني الثقة الكاملة فيما هو الله في ذاته.

إن الرب يسوع المسيح «هو سلامنا» (أف ٢: ١٤)، وهو أيضًا ترسنا «أما أنت فترس لي، مجدي ورافع رأسي» (مز٣:٣)، فهو – له كل المجد – يبعث سلامه داخل قلوبنا ويصد عنا سهام الشيطان الملتهبة.

إن أول ورود لكلمة ترس كانت لأبرام في رؤيا، بعد أن رفض العرض الذي قدمه له العالم حين جاء إليه ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملوك الذين معه (تك١٤)، فملك سدوم جاءه بهمس الحيَّة، لكن أبرام رفض عطاياه «بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام أنا ترس لك، أنا أجرك الكثير جدًا» (تك ١٥: ١). وما قيل لأبرام هو أيضًا لكل مؤمن لا يركض وراء العالم وشهواته، سوف يتمتع بترس الرب وبالرب أجره، ما دام لا يحزن الروح القدس الذي فيه.

لقد قال كاتب مزمور ٣٣: «أنفسنا انتظرت الرب، معونتنا وترسنا هو»، فمَن ينتظر الرب، يأتي إلى محضره ويطرح أمامه مخاوفه واحتياجاته ويصبر قدامه، منتظرًا، متوقعًا بسكوت خلاصه، لا بد أن يختبره كالمعين والترس.

والحقيقة إن هذا اختبار يتكرر في حياة كل مؤمن من أولاد الله. نعم «هو ترسنا»، الذي يتلقى هجمات العدو ويسترنا من السهام الملتهبة، فترس الإيمان سماوي الصنع وهو عطية من الله ذاته وهبة مجانية، كما وإنه علامة وضمان وعربون خلاصنا الكامل.

وماذا عن رأس المحارب؟ عليها «خوذة الخلاص» والخوذة تحمي رؤوسنا، والرأس واحدة من الأجزاء الحيوية الرئيسية في جسم الإنسان، وكان لكل الملوك حامل سلاح ومن يحرس رأس سيده، وكانوا يهلكون في الحرب سويًا. لقد قال داود في مزمور

١٤٠: ٧: «ظلَّلت رأسي في يوم القتال»، فالرب بنفسه يظلل رؤوسنا، فلا يؤذينا سهم يطير يميناً أو يسارًا. لقد اختبر داود هذا حين واجه جليات بغير قوس أو ترس و بعد أن نزع الخوذة التي من نحاس التي أعطاها له شاول «نزعها داود عنه» (١صم١٧:٣٩) وانتصر داود بخوذة الخلاص التي لا تراها العين واختبر أن الرب ظلل رأسه، وهكذا تُحمَى رؤوسنا وهذا سر تعزياتنا وسلامنا، فالرب يظلِّل رؤوسنا، أما رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاههم يغطيهم (مز ١٤٠: ٩). ولن ينفع الأشرار حارسو رؤوسهم، فداود حين يقارن بين رؤوس الأشرار غير المظللة وبين رؤوسنا المظللة والمحمية بالرب نفسه والتي عليها خوذة الخلاص، يترنم فرحًا، فلا مخاوف ولا شكوك والرب نورنا وخلاصنا والذي نثق به ثقة كاملة، مهما كانت الظروف حولنا، فهو حصننا وحمانا إزاء أفكار الشك التي يأتي بها العدو إلينا.

وخوذة الخلاص لا يُقصَد بها فقط خلاص النفس من جهنم ولا الخلاص النهائي عندما يسحق الله الشيطان تحت أقدامنا، بل أكثر من ذلك، فخلاصنا كامل نبدأ به ويستمر معنا حتى النهاية. لذا نستطيع أن نرفع رؤوسنا ونسير إلى الأمام بشجاعة، عالمين أن كل الأشياء – بحلوها ومرها – تعمل لخيرنا ولفشل العدو وانتصار شعب الرب. فلندع المخاوف والشكوك ولنأخذ خوذة الخلاص لكي تصفو أفكارنا.

وماذا إذا اقترب العدو في مواجهتنا؟ علينا بسيف الروح الذي هو كلمة الله، ولأنه سيف الروح، فلا يستخدم إلا بقوة الروح وحكمته. آه ما أكثر الذين سقطوا في الحرب لأنهم تلاقوا مع العدو بالعقل والمنطق والحكمة البشرية! لكن إذا تتبعنا خطوات ربنا المعبود يسوع المسيح الذي ترك لنا مثالاً عندما قابل الشيطان وانتصر عليه، بالمكتوب. فسيف الروح هو الذي يحسم كل نزاع، ولكن كانت الكلمة في فم سيدنا مستعملة بكل حكمة ومهارة،

فانتصر بالمكتوب، لأن كلمة الله فيها كل الكفاية ولها كل القوة عند المصارعة مع العدو المجرب. وسلامنا من تجارب إبليس يتوقف على انشغالنا بكلمة الله وخضوعنا لها وفهمها فهمًا صحيحًا، ذلك لأن العدو المجرب يحاربنا بالمكتوب وهذا خبثه، لكنه دائمًا يقتبس جزءًا ويترك الآخر، فمثلاً في متى ٤: ٦ «إن كنت أنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك»، ونحن نعلم أن أصل الوعد: «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك»، فقد حذف المجرب الجزء الأخير «لكي يحفظوك في كل طرقك». فالحفظ لنا ما دمنا في الطريق المُعد لنا، ودون أن نطرح أنفسنا لنجرب حفظ الله لنا. كلا، لقد طُرح دانيآل في الجب ولم يَطرح نفسه، فنال حفظ الله له، وطُرح الرجال الثلاثة في الأتون ولم يَطرحوا أنفسهم، فنالوا حفظ الله لهم.

آه! تحذر يا أخي! فالشيطان يلوي الحقائق بخبث، فإن كنت فاهمًا فكر الله، ترد عليه بالمكتوب، فيهرب منك حين يراك تشهر في وجهه «سيف الروح الذي هو كلمة الله»، وتختبر أن الله ليس فقط يُرسل ملائكته، بل يركب السماء في معونتك والغمام في عظمته، وسيأتي بنفسه لإنقاذك من القائمين عليك، ما دمت ممسكًا بسيف الروح.

فالمقصود «بسيف الروح الذي هو كلمة الله» أن يكون الاقتباس من المكتوب مأخوذًا بمهارة ليحسم المواجهة، أي قولاً مناسبًا للموقف يصوب بدقة، كما أخذ داود من جرابه حجرًا واحدًا ورماه بدقة بالمقلاع وضرب الفلسطيني في جبهته، فارتز الحجر في جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض (١صم ١٧:٤٩). وهذا يتطلب أن تكون اليد الممسكة بالسيف يدًا ماهرة، تحسن استخدام السيف، أي شخصًا مداومًا على قراءة الكلمة واختزانها في القلب والذهن، حتى إذا جاءت المواجهة، يكون على أهبة الاستعداد لاستخدامها وجودة التصويب. فالمؤمن الذي يعيش في جو الشركة مع الله ولا يحزن الروح القدس هو الذي يجيد إمساك السيف.

نعم يا أخي! إن أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل روحية، تتطلب خشوع القلب والشعور بحاجتنا للرب سندنا وترسنا وعوننا، وبالاتكال الكلي عليه لنستمد منه القوة، لنقدر أن نقاوم في اليوم الشرير وأن نثبت. ولا ننسَ أن المُحارب المنتصر الحامل لسلاح

الله الكامل لا بد أن تكون له الركب الساجدة، فهناك ارتباط وثيق بين كلمة الله التي هي سيف الروح وبين الصلاة. لذا يأتي التحريض: «مُصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح» وإن كنا قد رأينا «رئيس الإيمان ومكمله يسوع» وقد انتصر انتصارًا باهرًا على إبليس في البرية، مستخدمًا كلمة الله، فإننا نرى انتصاره على نفس العدو في بستان جثسيماني مستخدمًا الصلاة، فكلمة الله والصلاة سلاحان لا ينفصلان، والتحريض على «في الروح» هذه هي الصلاة الصحيحة. فالصلاة سلاح يُشهره المؤمن الشاعر بضعفه ضد العدو الذي يفزع من أضعف مؤمن جاثٍ على ركبتيه مصليًا في الروح. فإن كان الضيق يدفعنا إلى الصلاة، وإدراكنا لجولان العدو في الأرض يحفزنا على الصلاة كل حين، فإن الله كلي الرحمة لا يصم أذنيه عن سماع أصواتنا والإسراع إلى معونتنا. فالصلاة هي باب مفتوح للسماء لا يُغلَق، حتى وإن حاصرنا العدو من كل جانب. فعلينا أن نكون «مصلِّين بكل صلاة وطلبة»، «وكل صلاة» تعني صلاة سرية أو جهارية، مسموعة أو أنات داخلية، ما دامت في الروح، فهي صلاة فعَّالة مقتدرة. وعندما نتكلم عن الصلاة نتذكر أبفراس الذي أتت الإشارة إليه مختصرة جدًا، إلا أنها مملوءة بالمعاني «أبفراس الذي هو منكم عبد للمسيح مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات» (كو ٤: ١٢). وأبفراس شخص أممي معنى اسمه: "جذاب" أو "جميل" ووصف بأنه «خادم أمين للمسيح» والرجل الأمين كثير البركات (أم

٢٨:٢٠)، وأيضًا «عبد للمسيح» والعبد يتميز بالطاعة ولا يفعل إرادة نفسه، بل إرادة سيده، ويكرم سيده (ملا١:٦) ويرضيه (غل١:١٠). فهو رجل لا يضعه أمامنا الوحي كمبشِّر أو خادم، مع أنه ربما يكون هكذا لأن في رسالة فليمون جاء عنه أنه مأسور في المسيح مع رسول الأمم بولس، وفي كولوسي ١:٧ جاء عنه أنه «معلِّم»، لكن هنا وصفه بأنه «مجاهد .. بالصلوات»، فهو رجل صلاة، رجل مخدع يؤدي خدمة هادئة بلجاجة وحرارة وجهاد وليس لأجل نفسه فقط، بل لأجل الآخرين لكي يثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله.

آه يا أخي! ليتنا نكون رجال صلاة، فكم ستكشف الأبدية إعلانات مدهشة وحصادًا وفيرًا لنتائج صلوات اُستُجيبت من أجل الإنجيل ومن أجل غير المخلَّصين من أقاربنا وجيراننا وكنائسنا، كنا قد نشرنا أسماءهم أمام الرب وتضرعنا من أجلهم أمام عرش النعمة ولم ترَ عيوننا ثمار عمل الروح فيهم، لكن سنراهم وسنأخذ عنهم المجازاة لا لشيء إلا أن إلهنا حي يسمع ويستجيب. ألا يحفزنا هذا على مداومة الصلاة؟

إن التعب في الخدمة الجهارية والزيارات والعمل الفردي لا يأتي بثمر، إلا إذا ارتبط بالجهاد في الصلاة.

ألا ترى معي أن خدمة المخدع لا تتطلب موهبة خاصة؟ ألا ترى أنه ينبغي على كل مؤمن حقيقي أن يمارسها؟ إنها ليست

موهبة ولا تتطلب طلاقة لسان، بل تتطلب قلبًا مشغولاً بعمل الرب وبالنفوس التي حولنا.

لقد حاربت ياعيل بالأسلحة المتاحة لها وانتصرت، فهل نحارب نحن بالأسلحة المتاحة لنا؟ هل نحمل سلاح الله الكامل؟ هذا لخيرنا «لكي نقدر أن نقاوم في اليوم الشرير».

وما أشر الأيام التي نعيشها الآن! حيث تسود الهرطقات والبدع ورئيس هذا العالم حولنا بعصيه وسيوفه ومشاعله وسلاحه وجنوده، فإن تسلحنا بسلاح الله الكامل، لن يكون له فينا شيء.

لقد بدأ داود مزمور ١٨ نشيد حمده بالقول: «أحبك يا رب يا قوَّتي، الرب صخرتي وحصني ومنقذي، إلهي صخرتي به أحتمي، ترسي وقرن خلاصي» وعنوان هذا المزمور بلقب لداود، تلقب به قبله موسى ويشوع (يش ٢:١ و١٣ و١٥، يش ٢٩:٢٤)، وهو «لعبد الرب» وعبد الرب يعرف ضعفه وقوة ذراع إلهه، ويقابل مراحمه العظيمة بقلب فائض بالمحبة، فيبدأ مزموره: «أحبك يا رب»، فهذه هي الوصية الأولى والعظمى وسر غلبتنا، فإن أحببنا الرب بكل عواطفنا ووجداننا، ستكون قوته لحسابنا «يا قوَّتي»، فإلهنا قوة حياتنا وغلبتنا في حروبنا، منقذنا الذي يسرع لنجدتنا «منقذي» وهو «ترسنا» الذي يسد هجمات العدو عنا.

فالرب يمنطق عبيده بالأسلحة الدفاعية والهجومية وقد هيأ لنا سلاحه الكامل عتادًا كافيًا لتحصيننا من هامة رؤوسنا إلى بطون

أقدامنا.

نعم! حاربت ياعيل بالأسلحة الدفاعية المتاحة لها وانتـــصرت، لكنها أيضًا كانت تعرف أن اليقظة مطلوبة مادامت الحرب دائـــرة، وأيضًا حاربت من موقع النصرة وهذا ما سنراه، فنتيجة الحـــرب محسومة قبل الدخول فيها.

المؤمن يدخل الحرب من موقع النُصرة

لقد أرسلت دبورة:

«ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي وقالت له ألم يأمر الرب إله إسرائيل، اذهب وازحف إلى جبل تابور وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون. فأجذب إليك إلى نهر قيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه ليدك» (قض ٤: ٦و٧).

إن نتيجة الحرب محسومة قبل الدخول فيها وهذه هي الحقيقة، فنحن لا نحارب لنحرز النصرة، بل نحارب من موقع النصرة، والنصرة ليست لنا، بل للرب أولاً. فالكتاب يقول: «شكرًا لله» مسبقًا، ولكن نحن نسير في هذا الموكب. وهو نفس ما قاله الرب يسوع المسيح لنا في يوحنا ١٦:٣٣: «في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم». فالرب يسوع هو الغالب ونحن به

غالبون. وفي ١بوحنا ١٣:٢يقول: «أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير»؛ وسر الغلبة «لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم»، فالروح القدس الذي فينا يعلِّمنا ويرشدنا ولنا به الغلبة المحسومة قبل المعركة، لأننا جنود الغالب الذي غلب العالم، فالحرب ليست لنا بل له «الحرب ليست لكم بل لله» (٢أخ ٢٠: ١٥). فدبورة هنا تقول إن الرب يدفع سيسرا ورئيس جيشه يابين ليد باراق، لأن الحرب لله وليست لباراق والنتيجة محسومة.

فالرب يطلب شيئًا واحدًا وهو الثقة في كلمته، والإيمان لا بد أن يتوقع الانتصار، لأنه يتيقن من الأمور التي لا تُرى ويعتمد تمامًا على صدق الله. أ لم يقف يهوشافاط أمام الشعب وقال: «آمنوا بالرب إلهكم فتأمنوا» (٢ أخ ٢٠:٢٠)؟ وفي مواجهة جيوش العدو، قاموا بالتسبيح، لأن النصر أمامهم بالإيمان وبالفعل نالوا الغلبة «وجعل الرب أكمنة على بني عمون وموآب وجبل ساعير»، وقام الأعداء يحاربون بعضهم بعضًا و«الرب حارب أعداء إسرائيل» (٢أخ ٢٠:٢٩).

نعم! إن كل تاريخ الشعب يعلن أن الحرب للرب والنتيجة محسومة مسبقًا، لكن لماذا تقول دبورة هنا لباراق: «ازحف .. وخذ معك عشرة آلاف رجل؟» لماذا والنتيجة محسومة؟ الإجابة: لأن الرب الذي يعلم أيدينا القتال وأصابعنا الحرب لا يعلِّمنا أن ننام ما دامت الحرب للرب، كلا، بل نعد العدة ونلبس سلاح الله ولا نستخف بالعدو، بل نحيا حياة اليقظة الروحية، لندخل الحرب، لكنْ

واثقين من النصرة.

والجيوش التي تحارب دائمًا تتقدم إلى الأمـــام، وحـــين تحـــرز نصرة، تضع عَلَمها لتمسك بالموقع الذي أخذته لتزحف إلى الأمام أكثر. وهذا ما أراد الروح أن يخبرنا به بقوله عـــن الثبـــات فـــي أفسس ٦: ١٣ «بعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا».

فانتهاء موقعة وتحقيق نصرة لا يعني انتهاء المعركة، فنحن في حرب مستمرة، تتطلب اليقظة المستمرة للغلبة القادمـــة، وألا نـــدع نشوتنا بالغلبة ترخينا، لأن عدونا لا ينام ولا ينثني عن قصده فـــي إسقاطنا، بل قد يمنحنا بعض الانتصارات لنرتخي ونظنه قد انهزم وعندئذ يهجم بصورة أشد ونحن في حالة تراخٍ، فيأخذ منا جولـــة. وهذا ما نراه في ١ملوك ١٣، فبعد أن انتصر رجل الله الذي مـــن يهوذا انتصارًا باهرًا وتنبأ أمام يربعام عن يوشيا قبلما يولد بحوالي ٣٥٠ سنة، ثم يعطي علامة ويشق المذبح ويذري الرمـــاد الـــذي عليه، وتيبس يد يربعام الملك حين حـــاول الإســـاءة لرجـــل الله، ويتوسل رجل الله ويتضرع من أجل الملك، فيستجيب الرب، فترجع «يد الملك إليه وكانت كما في الأول» (١ مل١٣: ٦).

لكن العدو لا يريد أن يقر بهزيمته، فيحاول أن يستخدم عطايـــا الملك يربعام بصورة تقديم عرفان بالجميل لرجل الله ليخرجه عـــن تكريسه، لكن الرجل يرفض الضيافة والأُجرة ويتبع مثال إبـــراهيم مع ملك سدوم، طاعة بوصية الرب، وبهذا يحرز نصرًا آخر، لكن

العدو أيضًا لا ينهزم ويحاول وإذا برجل الله في هذه المرة لا يثبت. فقد أتاه العدو المكير في صورة نبي الله الشيخ الذي كان يعيش في بيت إيل، ويعرض عليه ما عرضه قبلاً الملك: «سر معي إلى البيت وكُل خبزًا» ويضيف: «أنا أيضًا نبي مثلك وقد كلَّمني ملاك الرب .. كذب عليه» (١مل١٣: ١٦- ١٨).

فخُدع رجل الله من النبي الشيخ الذي استخدمه الشيطان، وذلك لأنه لم يثبت ولم يسأل الله قبل أن يذهب معه، فكيف لرجل الله الذي يتكلم مع الله أن يسمع لصوت ملاك؟! لقد تراجع عن مركزه ولم يمسك بقول الرب، فقتله الأسد. فالخوف علينا ليس أثناء المعركة، بل بعدها والهزيمة تأتي بعد زوال الخطر ونتيجة لعدم ثباتنا. لذا لنأخذ العبرة «بعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا، فاثبتوا»، فنحن لسنا في ندية مع العدو ومكايده، ولا يمكننا أن نغلب بدون الرب، لذا قال الرسول بولس: «تقووا في الرب وفي شدة قوَّته» وهذا سر النصرة. كما أننا لا نقدر أن نحارب بسلاح غير سلاح الله وبكامل عدة السلاح.

ياعيل لم تمتدح نفسها، بل كان غرضها مجد الرب وخير شعبه «لأنه ليس مَن مدح نفسه هو المزكَّى، بل مَن يمدحه الرب» (٢كو١٠:١٨). إن الافتخار بشيء آخر غير الرب ضلالة مصدرها الذات. والشيء الوحيد والمقدس الذي يجعل المؤمن يلتصق بالرب وأن يحسب نفسه لا شيء هو الإيمان، فالإيمان يضع

كل الأشياء والأشخاص في الوضع الصحيح. والإيمان ينزع كل خمير في السلوك وفي التعليم، والكبرياء خمير من خمير السلوك. ذلك لأن الخمير من صفاته أن ينفخ العجين ويعطيه حجمًا أكبر من حجمه وهذا ما يفعله الكبرياء، إذ يجعل صاحبه يمدح نفسه لينال إعجاب الآخرين. لقد أراد الإنسان في الجنة في كبرياء وصلف أن يصير مثل الله، لكن آه! ما أبعد الفرق بين آدم وسيدنا ومعبودنا الرب يسوع المسيح الذي «إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٨ و٩)، وهذا هو الفطير الخالي من الخمير.

والحقيقة إن احتمال التخمُّر في أي مؤمن هو احتمال وارد، وأقصد هنا من جهة الانتفاخ أو مدح الذات، وهذا يتطلب منا السهر الدائم على حياتنا العملية، وهذا ما جعل الرسول بولس يحرضنا في ١كورنثوس ٥: ١٧ «إذًا نقُّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير». ولنلاحظ القول: «لكي تكونوا (فعل مضارع مستمر) .. عجينًا جديدًا»، ذلك لأنه يعلم أن احتمال الخمير في أي مؤمن هو احتمال وارد، لكن السهر والحكم على الذات يجعل العجين دائمًا جديدًا لا يختمر ولا يفعل الخمير فعله فيه.

يقينًا لم تمتدح ياعيل فعلتها، لأنها تعلم ضعفها كامرأة، كما أنها

تدين بالقوة في الضرب بالوتد لمَن منحها إياها، وكأنهـــا ضـــمت صوتها لعبد الرب داود الذي كلَّم الرب بنشيد مزمور١٨، في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شـــاول، فقـــال: «منطقتني بقوة للقتال. تصرع تحتي القائمين عليَّ» (مز ١٨:٢٩). نعم فلولا أن الرب منطقها بقوة للقتال، ما قويت أن تقف وتضرب بالوتد، لذا فهي مديونة لمن منطقها بالقوة. وفي ٢كورنثـــوس١٢: ١٠ نرى نقيضين يجتمعان وهما: الضعف والقوة فـــي آن واحـــد «لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي». والحقيقـــة إن المـــؤمن الذي يريد أن يستخدمه الرب لا بد أن يجمع هـــذين المتناقـــضين، فيشعر أنه ضعيف في نفسه، عاجز بشخـــصه، نـــاقص بمواهبـــه وعندئذ سيلمس قوة الله تزداد فيه، فيتشدد عجزه ويكمل نقصه، فإن كان التحريض على التواضع يوجَّه إلينا باستمرار، فذلك لأن الجسد فينا والطبيعة كثيرًا ما تتحرك، لكن كلما عرفنا أنفسنا وكلما عرفنا حاجتنا إلى رفع الأبصار إلى ذاك الذي يرثي لـــضعفاتنا، فعندئـــذ سننال عونًا في حينه.

أ لم نرَ داود بملابس الراعي البسيط يقف أمام الفلسطيني جليات الجبار المُحارب المخيف، وليس في يده إلا عصاه وخمسة حجارة ملس ومقلاعه ويقول مقولة الإيمان: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود .. وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلِّص الرب» (١صـــم ١٧: ٤٥-٤٧). «فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر .. ولم يكن سيف بيد

داود» (١صم١٧: ٥٠)؟!

هذه حقيقة، فشعورنا بضعفنا يجعلنا نتعلق بالرب لطلب القــوة، وفي ضعفنا نشعر بحاجتنا إلى أن نتسلح بسلاح الله الكامل، فنطالع كلمة الله ونمسك بالمواعيد، فنتقوى. فقوة الــرب المنعمــة تأخــذ طريقها إلى كل من يعرف حقيقة حاله وضعفه ويعتمد على الــرب كل الاعتماد، والقلب غير المنتفخ هو ذلك القلب الذي خــلا مــن الكبرياء وأحس إحساسًا عميقًا بضعفه وعــدم اســتحقاقه، ولــذلك يستطيع أن يأتي بثقة إلى نعمة الله.

إن الله يهيىء في الخفاء مَن يريد أن يستخدمه علانية، وهذا ما حدث مع داود، فقد كان وحيدًا مع الله عندما كان يرعى غنم أبيــه في البرية، وهناك تدرَّب في السر، إلى أن جاء وقت الامتحان وقتل الأسد والدب جميعًا وأعلن: «قتل عبدك الأسد والدب جميعًا، وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عيّــر صــفوف الله الحي». فالمؤمن الذي اختبر معاملات الله وانتصاراته لا يفرق أو يقارن بين صعوبة وأخرى، لأنه يقيس الصعوبات على قــوة الله. فسواء أسد أو دب أو جليات الجبار أو سيسرا بمركباته الحديديــة التسعمائة لا فرق، فالإيمان يعلم من هو الله.

يقينًا ياعيل امرأة حابر كانت ترى بالإيمان نتائج النصرة، برغم قوة العدو وقلة عتادها، فالمؤمن لا يدخل حربًا غير معلومة النتائج «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون»

(٢كو١٠:٤)، فهي امرأة والضعف لا ينكر والصعوبات أمامها متنوعة والخطر قائم، لكن الذي في القديسين أعظم من هذه الأمور جميعها، فهو «يخضع الشعوب تحتنا»، فالحرب للرب وهو الذي يعطي النصرة، فكم هو إله عظيم!، عظيم في نجدته لشعبه وطالبيه، عظيم في عيون مفديه، كما هو عظيم في نصرته على أعدائه الذين يبددهم برعبه.

لقد ضايق يابين ملك كنعان ورئيس جيشه سيسرا بني إسرائيل بشدة ولمدة ٢٠ سنة (قض ٤ :٣)، فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب مما كانوا يعانونه، وكأن لسان حالهم: «انظر إلى ذُلِّي وأنقذني» (مز١١٩:١٥٣). والله لا يمكن أن يقف ولا يبالي بضيقات شعبه، لكنه يريدنا أن نذكره بها، أن نبسط قضيتنا ومخاوفنا أمامه معترفين بحالنا وضعفنا واحتياجنا ليده القوية القديرة، ولا بد أنه في وقته سيسرع بالمعونة ويفي بالاحتياج. وهذا ما نختبره في حياتنا، فالرب يلتفت إلينا بأساليب متعددة حسب احتياجنا، فهنا كان الاحتياج القضاء على العدو، وباراق الذي كان يطارد سيسرا الذي هرب على رجليه، بعد أن أزعجه الرب من السماوات إذا به يرى «سيسرا ساقطًا ميتًا والوتد في صدغه».

نعم، ياعيل لم تمتدح نفسها ولم تتكلَّم عن نفسها بالمرة حتى بعدما سقط سيسرا ومات، خرجت ياعيل لاستقبال باراق ولم تقل تعال لأريك ما فعلت بل: «تعال فأريك الرجل الذي أنت طالبه»

وهذا هو تفريغ الذات، وهذا هو الإناء الذي يستخدمه الرب.

مرة «أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين» ليسألوا يوحنا: «مَن أنت؟ ماذا تقول عن نفسك؟» (يو١: ٢٢ و٢٣)، فكان جوابه: «أنا صوتُ صارخٍ في البريَّة»، أي مجرد بوق لا يلتفت إليه ولكن ليسمع نداه، وهذا هو التفرغ من الذات والتواضع في أجمل صوره، لذا جاء تقيم الرب يسوع المعمدان وتكريمه «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (مت ١١:١١). فيوحنا أخذ مكانه الحقيقي، فرفعه الرب يسوع، حقًا «لأنه ليس مَن مدح نفسه هو المزكى بل مَن يمدحه الرب». وحينما جاءوا إلى يوحنا مرة أخرى وقالوا له: «يا معلِّم، هوذا الذي كان معك في عبر الأردن، الذي قد شهدت له، هو يعمِّد، والجميع يأتون إليه» (يو٣: ٢٦)، وهي عبارات من شأنها أن تثير الغيرة والحسد في القلب البشري، لكن ما أجمل وما أعظم الشهادة التي شهد بها للمعمدان المتفرغ من ذاته حين قال: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضيٌّ، ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع».

نعم أيها الأحباء .. فطريق الارتفاع إلى فوق هو النزول إلى أسفل ومعرفة ذواتنا على حقيقتها، وملء الله يترقب إناء فارغًا، فليتنا نأخذ مكاننا الصحيح حسب كلمة الله، إذا أردنا أن يستخدمنا

الرب، ولنتتبع خطوات ذاك الذي أخلى نفسه.

وفي أعمال٢٦ نرى الملك أغريباس يأذن لبولس أن يتكلَّم عن نفسه: «مأذونٌ لك أن تتكلَّم لأجل نفسك»، والمحفل عظيم وبولس مقيَّد، ومن حقه أن يدافع عن نفسه، لكن بولس الذي تدرّب بيد القدير لا يدع فرصة مثل هذه في احتفال عظيم أمام الملك أغريباس والملكة برنيكي وفستوس الوالي والرجال الحاضرين، لذا لن يتكلَّم بولس عن نفسه، حتى وإن أذن له الملك، بل شهد عن سيده المشهود له في الناموس والأنبياء وعن ملكه حيث يملك بالبر والسلام، ويتكلَّم أيضًا عن ضرورة تألم المسيح ورفضه وموته وقيامته، حتى أن أغريباس الملك قال لبولس: «بقليل تقنعني أن أصير مسيحيًا» وجاء رد بولس الذي يعبر عن عواطفه الحارة ورغبته الصالحة من نحو أغريباس والحضور، فيقول: «كنت أصلي إلى الله أنه بقليل وبكثير، ليس أنت فقط، بل أيضًا جميع الذين يسمعونني اليوم، يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود» (أع٢٦: ٢٩)، وهكذا استغل بولس القيود والفرصة المتاحة لا ليتكلَّم عن نفسه، بل ليشهد عن بشارة النعمة.

وإن كنا لا نعرف مدى تأثير كلمات بولس على السامعين، لكننا يقينًا نثق أن قلب بولس الممتليء بالفرح بمخلِّصه وكلماته عنه كانت معبِّرة عن كمال صلاح الله وعظمته ورحمته للإنسان، وعن القوة التي في اسم ربنا يسوع المسيح، وإن هناك سعادة حقيقية

وفرحًا قلبيًا لدى المؤمن لا يستند على الظروف الخارجية، بل لا تستطيع القيود أن تؤثر على سلام المؤمن أو تمسه، فبولس السجين المقيد يتمتع بفرح إلهي يفيض بالمحبة، فلا يستطيع الملك بكل ما حوله وما له أن يقول ما قاله بولس: «إني أحسب نفسي سعيدًا». ويقينًا بشاشة وجه بولس كانت تنم عن قلب مفعم بالسعادة، يفتقر لها الملك بجاهه وحاشيته، ذلك لأن سلام قلوب المؤمنين وفرح قلوبهم مستمد من سلام الله الذي هو إله السلام، وهذا السلام يفوق كل عقل (في ٤:٧) ويحفظ القلب والفكر في المسيح يسوع، فيشع الوجه نضارة، رغم كل الظروف.

نعم، لم يتكلَّم بولس عن نفسه ولم يشهد لها، بل باختصار روى قصة تجديده ودعوته وإرسالية الرب يسوع له هلمَّ الآن أرسلك: «.. لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان غفران الخطايا ونصيبًا مع المقدسين».

إن موقف بولس في هذه المحاكمة وهو أسير مقيَّد أمام ملوك، لكنه أغنى منهم، يذكِّرنا بالفتاة المسبية الأسيرة في بيت نعمان الأبرص (٢ مل٥)، فلقد كانت هذه الفتاة مسكينة صغيرة مسبية من أرض آبائها وأسيرة في بيت شخص أرامي، لكنها كانت تعلم شيئًا يجهله سيدها الجليل، بالرغم من عظمته ومقامه وغناه. كانت تعلم طريق الشفاء، وتعلم أن إله إسرائيل وحده هو الذي يمكنه أن يسد

الأعواز والاحتياجات، فملأت النعمة قلبها بحب الخير للآخرين، حتى وإن كان مَن أخذها من بيتها وأهلها. لو لم تكن هذه الصغيرة تشع سعادة لمَا استمع إليها سيدها، ثم هي أيضًا أغنى من ملك إسرائيل نفسه المرتد عن الله الذي لم يعرف ملاذًا يركض إليه في يوم الشدة، فمزق ثيابه حين قرأ خطاب ملك أرام. فهذه الفتاة القانعة الشاكرة القابلة لمقاصد الله لها كانت سبب بركة لنعمان وبيته، إذ عرَّفته مَن هو الإله الحقيقي وهبته المجانية بالنعمة وعرف طريق الخلاص.

أيضًا في دانيآل ٢: ٢٦ سأل الملك نبوخذ نصر دانيآل: «هل تستطيع أنت على أن تعرِّفني الحُلم الذي رأيت، وبتعبيره؟»، ودانيآل لم يؤخَذ بالطعم ولم يتكلَّم عن حكمته وقدرته، ولأنه يعرف حقيقة نفسه وأن الله هو الذي أعطاه الحكمة والقوة وأعلمه بالأسرار «أجاب دانيآل .. السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون على أن يبيِّنوه للملك. لكن يوجد إلهٌ في السماوات كاشف الأسرار».

نعم، ياعيل لم تمدح نفسها ولم تبجل ما قامت به، فنالت مديحًا ومجدًا وسُطر اسمها على صفحات الوحي المقدس لأن «كبرياء الإنسان تضعه، والوضيع الروح ينال مجدًا» (أم ٢٩:٢٣)، والرب يسوع المسيح قال: «مَن يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١٢). وفي ١بطرس ٥: ٥ يقول: «تسربلوا بالتواضع».

فيا ليتنا نتعلَّم هذا حين يستخدمنا الرب ولا نشير لبطولاتنا أو أعمالنا مهما كانت نتائجها عظيمة، ولنتحذر! فالافتخار والإعجاب بالذات استعداد طبيعي فينا، لكنه بغيض في عيني الرب ومكروه في أذني الودعاء. قال بولس: «من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي»، وجعل نعمة الرب يسوع المسيح وقوته موضوع فخره فقال: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني». وداود في مزمور ٣٤ كان مدفوعًا بالامتنان للرب، فنظَّم هذا المزمور الأبجدي ليشكر الرب لأجل إحسانه وإنقاذه إياه، عندما ذهب هاربًا إلى أخيش ملك جت، ولما ملأه الخوف بسبب كلام الملك ورجاله غيَّر عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون، فطرده الملك، ففر هاربًا ونجا، لكنه تعلَّم أن ليست حيلته التي أنقذته ولم يفتخر بها، بل لم يذكرها بالمرة. ويجب أن نتعلَّم من داود ألا نستعرض خطايانا أمام الآخرين كالذين يفتخرون بخزيهم، لكنه أعلن: «طلبت من الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني» ويا لروعة القول: «بالرب تفتخر نفسي»!

إن فخر المؤمن في الرب، لذا دعونا نفتخر بالرب وننسى ذواتنا ولنحترس من الكبرياء، فهو فيروس يصيب القلب الذي ليس في حالة صحو ويقظة روحية، وهذا يعطينا بعدًا لكلمات الرب يسوع المسيح: «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (مت ٢٦: ٤١). والكلام أيضًا للمؤمنين ومَن يستخدمهم الله لأن من الكبرياء نوع خطير هو الكبرياء الروحي، وهذا يصيب الذين لديهم مواهب

روحية أو معرفة كتابية، ولهذا فمن شروط الأسقف ألا يكون حديث الإيمان «لئلا يتصلَّف»، أي ينتفخ عُجبًا.

لكن ماذا لو سكتت ياعيل؟ ماذا لو لم تغتنم ياعيل الفؤصة ولم تقم بالعمل الذي يقينًا كان الرب أسنده إليها؟ ماذا لو استضعفت نفسها أو خشيت النتائج؟ يقينًا كانت ستأتي النجاة ولكن من مكان آخر، هذا ما قاله مردخاي لأستير التي صارت ملكة وزوجة أحشويروش الملك الذي مَلَكَ من الهند إلى كوش، قال لها: «إن سكتِ سكوتًا في هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنتِ وبيت أبيكِ فتبيدون». قال لها هذا عندما أرادت أن تعتذر عن الدخول إلى الملك وتعلَّلت بأن الجميع يعرفون سنن الدخول إليه والاحتياطات الأمنية المتبعة «إن كل عبيد الملك وشعوب بلاد الملك يعلمون أن كل رجل دخل أو امرأة إلى الملك، إلى الدار الداخلية ولم يدعَ، فشريعته واحدة أن يُقتل، إلا الذي يمد له الملك قضيب الذهب فإنه يحيا» (أس ٤: ١١).

وفي سفر أستير نرى أن الله أعد المنفذ للنجاة لشعبه قبل أن يأتي الخطر، فكيف لفتاة يتيمة مسبية ذليلة من شعب مكروه تصبح ملكة البلاد؟! إلا أن الرب أعد المنفذ قبل التجربة وهذا ما فهمه مردخاي، فأرسل إليها: «لا تفكري في نفسك أنكِ تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود» (أس ٤: ١٣)، وكأنه يذكرها أن وصولها للملك كان بغرض إلهي من إله النجاة، فلا تستعفي أن تكوني الآلة

التي يستخدمها الرب للنجاة.

وكان مردخاي يؤمن أن الله سينقذ شعبه ولن يُحد بطريقة أو وسيلة بذاتها، فحتى وإن سكتت أستير سكوتًا يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر. وكأنه يحرضها أن تضع نفسها في يد الله ليستخدمها للنجاة، فهذا شرف لها وتكريم، وبالفعل استخدم إله النجاة أستير. لكن ما أروع أن نتأمل في تحكم الله في كل الأمور لإتمام مشيئته.

فدسائس الشيطان وكبرياء الإنسان والظروف المعادية نراها وسائل في يد الله، يجري بها مقاصد نعمته ليقيم راية ويتمم مشورته ومسيرته «رأيي يقوم وأفعل كل مسرَّتي» (إش٤٦: ١٠)، فعصيان وُشتي الملكة ومشورة مُشيري الملك كان كل هذا لإعلان مقاصد الله، كما أن انجذاب قلب الملك لأستير اليتيمة كان من مقاصد الله واكتشاف مردخاي للمكيدة ضد حياة الملك، كما أن عدم مكافأة مردخاي حين اكتشاف المكيدة كان أيضًا بيد الله وترتيبه، وقلق الملك والوسيلة التي لجأ إليها باحضار تذكار أخبار الأيام كان بيد الله الذي استوقف بصر الملك. وسؤاله: «أيَّة كرامةٍ وعظمةٍ عُملت لمردخاي لأجل هذا؟» (أس ٦:٣)، وكيف أن عناية الله رتبت أن يوجد هامان في دار بيت الملك الخارجية في هذا التوقيت وكان قد أتى ليقول للملك أن يصلب مردخاي على الخشبة التي أعدها له، فما كان منه إلا أن يسرع وبأمر الملك «أسرع وخذ اللباس والفرس

.. فأخذ هامان اللباس والفرس وألبس مردخاي وأركبه في ساحة المدينة، ونادى قدامه: هكذا يُصنع للرجل الذي يُسر الملك بأن يُكرمه». نعم يا له من مشهد يعلن أن يد القدير هي التي تدبر كل أمورنا، حتى تهدأ قلوبنا ولا نخاف! فأمورنا مع مَن يهمه أمرنا. وهو يعد لنا المنفذ قبل التجربة، فما أمجد اسمه الكريم!

وهنا أيضًا في قصة ياعيل الله الذي يتحكم في الأحداث ويفعلها استخدم الصلح الذي «بين بابين ملك حاصور وبيت حابر القيني» وأعد ياعيل وأمدها بالقوة لتكون هي أداة النجاة المستخدمة لخلاص شعبه المقهور، لكن إن استعفت فعنده مخارج للنجاة، لكنها ستخسر شرف استخدام الرب لها. وهذا ما حذَّر منه الرب كنيسة أفسس: «أُزحزح منارتك من مكانها» (رؤ٢:٥).

فالمنارة هي لحمل الشهادة للرب يسوع في العالم، والكنيسة التي تركت محبتها الأولى كحاملة شهادة حقيقية للرب سترفض كشاهدة له وتزحزح المنارة إلى كنيسة أخرى لم تنحرف إلى خطية ترك المحبة الأولى.

ولنلاحظ القول: «أُزحزح المنارة»، فهي لن تُطفأ لأن الله لا بد أن يكون له شهادة، ولكن إذا استغنت جماعة عن الشهادة، تُنقل المنارة وتُزحزح إلى جماعة أخرى لتضيء وتشهد للرب يسوع في وسط هذا العالم المظلم.

هناك أيضًا تحريض مشابه لكنيسة فلادلفيا: «ها أنا آتى سريعًا.

تمسَّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك» (رؤ٣:١١).

وإكليل الفيلادلفي هو الحق الخاص الذي كشفه الرب لهم وتوَّجهم به كجماعة، والرب يمدحها: «لك قوة يسيرة وقد حفظت كلمتي». فهذه الجماعة أعزَّت وقدَّرت كلمته واعتبرتها كنزًا ثميناً وعادت إلى المكتوب ورفضت كل تعليم ووصايا البشر المنافية له، وخبَّرت بوحدة الجسد وأن الجميع إخوة دون سيادة، كما أنها آمنت بحضور الرب في الوسط وقيادة الروح القدس، دون رياسة بشرية وعلَّمت بمجيء الرب بالاختطاف ثم بالظهور والدينونة والمُلك الألفي الحرفي، وما إلى ذلك من التعاليم الكتابية. وهذا هو الإكليل الذي ميَّزهم: «إكليلك». لذا يأتي التحريض من الرب، تمسك بما أعلن لك واسلك بموجبه، فإن تخليت عن الحق سيُفقد الإكليل، لكن الحق سيصل للعالم، لكن عن طريق آخر، لجماعة أخرى تقدِّر هذه التعاليم، ولن يستخدمك الرب ويا لها من خسارة!

ثق أخي! إن الله حينما يريد أن يستخدمنا، فهذا لأنه يريد أن يُكرمنا، لكنه كُلي القدرة ويده لا تقصر عن الفداء وقدرته عن الإنقاذ (إش٥٠: ٢).

لقد جعل الرب الوادي يمتليء بالماء دون ريح أو مطر «لأنه هكذا قال الرب لا ترون ريحًا ولا ترون مطرًا وهذا الوادي يمتليء ماء فتشربون ..» (٢ مل ٣: ١٣-٢٣).

واستخدم الرب صوت مركبات وصوت خيل وصوت جيش

عظيم ليخلِّص السامرة من الجوع الشديد، لكنه أراد مع كل هذا أن يستخدم رجالاً بُرصًا، فطُرق الله لا تخطر على بال بشر، فاليهود قابعون في عقر دارهم ينتظرون الموت إما بالجوع أو بجيوش الأراميين، وليس لهم مركبات ولا جيوش ولا خيول، لكن هكذا أسمع الله جيش الأعداء فهربوا. ودخل الرجال البرص إلى المحلة وأكلوا وشربوا وحملوا ذهبًا وفضة وثيابًا ومضوا وطمروها، إلى أن أدركوا أن مهمتهم لا يمكن أن تكون في الجمع والتكويم، فتنبهوا «لسنا عاملين حسنًا»، وعندئذ منحهم الرب وهم رجال بُرص، منحهم الرب فرصة ليستخدمهم في توصيل البشارة للملك بانفراج الأزمة، فقالوا: «هلمَّ الآن ندخل ونُخبر بيت الملك» (٢مل٧: ٩).

وفي زمن أستير كان جميع اليهود في خوف من خطر الموت والهلاك، والكتابات أُرسلت من الملك بيد السعاة إلى كل البلدان لإهلاك وقتل وإبادة جميع اليهود، وأُعدت من جهة أخرى العدة لصلب مردخاي، لكن الله استخدم ليلة أرق لتحويل الحال بالتمام وأبطال مشورة هامان. لكن الرب أيضًا شرَّف أستير بأن يستخدمها كما سبق وتكلَّمنا، وعلَّق هامان على ذات الخشبة التي أقامها، وتبدل الحزن والخوف إلى فرح وإلى يوم طيب لإرسال أنصبة.

أخي .. حقل الخدمة واسع جدًا حتى لمَن لا يمتلكون موهبة

خاصة بارزة أو متميزة، فليس الجميع مبشِّرين أو رُعاة أو معلِّمين، لكن هناك كلمة تتدرج تحتها كل أنواع الخدم وهي كلمة «أعوان»، «وضع الله أناسًا في الكنيسة أولاً رُسلاً ثانيًا أنبياء وثالثًا معلِّمين .. وبعد ذلك .. أعوانًا» (١كو ١٢: ٢٨).

نعم يا أخي! فمن الخطأ أن تتصور أنك لا تستطيع أن تساعد شعب الرب لأن ليس لك موهبة خاصة، فالواقع هو أن لكل واحد من المؤمنين مكانه الخاص ليملأه وعمل يؤديه. ما دام لك قلب متقد بالغيرة في عمل الرب، وما دمت مستعدًا لكل عمل صالح. فإن كنت لا تستطيع أن تبشر، فأنت تستطيع أن توزع الكتاب المقدس بروح الصلاة ليستخدمه الرب، تستطيع أن توزع نبذًا تبشيرية وخلاصية، تستطيع أن تدعو الآخرين وأن تكون عونًا بخدمات نافعة لمن لهم المواهب، فينمو العمل.

فنحن نصلِّي أن يُقيم الرب مبشِّرين ورُعاة ومعلِّمين، ويجب أن نصلِّي أيضًا ليُقيم الرب أعوانًا لأنهم حيثما وُجدوا، فهم لهم طاقة لخدمة قيمة ومعونة حقيقية للعمل. هكذا كانت ياعيل من الأعوان، لكن ما أعظم نتائج عملها، وقد تكون أنت أخي واحدًا منهم، فابحث عن دورك في كنيسة الله، دون تهاون ولا تخسر شرف استخدام الرب لك.

وتذكر أن الرب لا يضيع أجر كأس ماء بارد، ففي الكنيسة توجد خدمات ظاهرة ولكن توجد أيضًا خدمات مستترة وكلها معًا

لبنيان جسد المسيح. ألا نرى مثال لهذا في أجسادنا؟ فهناك أعضاء ظاهرة لها أدوار كبيرة مثل العين واليد والأرجل، لكن مَن ينكر أهمية الكلية أو القلب أو الرئة؟ هذه أعضاء غير ظاهرة، لكن ما أعظم الأعمال التي تقوم بها، ويستحيل الاستغناء عنها.

فأصحاب المواهب ليسوا هم كل الكنيسة، بل «وضع الله أناسًا في الكنيسة» وبجانبهم وضع «أعوانًا» لنكون أنا وأنت ضمنهم. لقد كان الهيكل الذي بناه سليمان «مؤسَّسًا على حجارة كريمة، حجارة عظيمة» (١مل٧: ١٠).

وهذا عظيم الأهمية لوضع الأساس الثمين، وهذا ما عمله الله لبيته الروحي، فالأساس هو الرب يسوع المسيح حجر الزاوية، والأساسات هي الحقائق التي تمس المسيح وعمله التي استحضرها لنا الرسل والأنبياء، هذه هي الحجارة العظيمة والثمينة ومن المستحيل أن يهتز فيها حجر إلا واهتز البناء كله «وبيتهُ نحن» (عب ٣: ٦) ونحن «مبنين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركبًا معًا، ينمو هيكلاً مقدسًا في الرب. الذي فيه أنتم أيضًا مبنيون معًا، مسكنًا لله في الروح» (أف ٢:٢٠-٢٢).

فبناء الله كله من أحجار حيَّة وهم المؤمنين ولكل منهم دوره لأن «كل الجسد مركب معًا، ومقترنًا بمؤازرة كل مفصل» (أف٤: ١٦)؛ أي أن كل مفصل يعاون ويؤازر المفصل الآخر.

وإذا عدنا لوقت بناء الهيكل (١مل٥: ١٣-١٨)، نجد الكل يعمل بحسب قدراته، فهناك مَن يحملون الخشب وهناك مَن يقطعون الأحجار من الجبل ومَن يحملون الأحمال، وعندما أخبر سليمان حيرام ملك صور بخططه «فرح جدًا» (١مل٥: ٧)، لأنه اعتبر نفسه نال حظوة بأن يختاره سليمان ليخدم في هذا العمل، لأنه كان يقدِّر الله ويقدِّر شعب الله، فوضع نفسه بفرح لهذه الخدمة وكانت فقط رغبته هي «إطعام بيته»، «أنا أفعل كل مسرتك .. وأنت تفعل مرضاتي بإعطائك طعامًا لبيتي» (١مل ٥:٨ و٩). أيضًا البيت كان يحتاج إلى الأحجار الثمينة والذهب الذي يغلف كل شيء، إلا أنه أيضًا كان يحتاج إلى الأرز وخشب السرو وأيضًا إلى آلات للطرق ومسامير للتثبيت، فهذا يكمل هذا ويثبته.

أخي .. هل يعسر على الرب أن يستخدمني ويستخدمك؟ أليس الحقل الواسع حولنا يتطلب أن نصلِّي له أن يُرسلنا؟ دعنا لا ننظر إلى ضعف أنفسنا أو إلى القليل الذي بين أيدينا، لأن حساب الإيمان يختلف كل الاختلاف عما نظن نحن بعقولنا.

إن حاجة النفوس شديدة والعالم حولنا مسكين، لذا علينا أن ننظر إلى الرب «ليس أننا كُفاةٌ من أنفسنا أن نفكر شيئًا كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله، الذي جعلنا كُفاةً لأن نكون خدام عهد جديد» (٢كو ٣: ٥-٦). وتذكر أن الرب بإمكانه أن يعمل بدوننا، لكنه لا يريد أن يفعل ذلك، وهو يعلم جيدًا أنه عندما يستخدمنا في خدمته، فهو يعطي قلوبنا الفرح والبركة ويعطينا القوة للقيام بما أسند إلينا،

تمامًا مثلما أمد ياعيل بالقوة، لأن تمسك بالميتدة وتضرب بالوتـــد، واحترس! من أن تكون عاطلاً في كنيسة الله الحي، فالعاطلون هم شغل الشيطان الشاغل، فهو يبحث عن الذين لا شغل لهم ليـــشغلهم لحسابه وسط كنيسة الله، أما بالبحث عن أخطاء المؤمنين ووضعها تحت المجهر أو بالنقد غير البناء أو بأي طريقة أخرى وما أكثـــر الطرق التي يستخدم الشيطان بها مَن «لم يُدخلوا أعناقهم في عمـــل سيِّدهم» (نح ٥:٣).

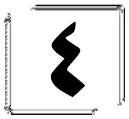

عندما جاء سيسرا إلى خيمتها، لم تعطه فرصة للنجاة

إنها أحكم من كثيرين، فالنغمة السائدة في سفر القضاة عبارة تتكرر حوالي تسع مرات وهي: «لم يطرد». «بنيامين لم يطرد اليبوسيين»، «منسى لم يطرد أهل بيت شان»، «أفرايم لم يطرد الكنعانيين ..»، «زبولون لم يطرد سكان قطرون ..» و«أشير لم يطرد سكان عَكُّو ..»، «نفتالي لم يطرد سكان بيت شمس..» .. إلخ.

لقد دخلوا الأرض وامتلكوها لأمانة الرب في إتمام مواعيده، لكنهم كشعب فشلوا في القيام بمسئولياتهم، ذلك لأنهم كانوا في ضعف وعدم طاعة، مما أدى إلى عبوديتهم وهزيمتهم. لقد كان أمر الرب لهم: «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها .. فإنك تحرِّمهم» (تث ٧: ١-٢).

إن الطاعة مفتاح النهضة والبركة، وهذا الشعب لم يكن

مطيعًا، بل يفعل ما يحسن في عينيه، فوصل إلى درجة من الانحطاط والتهاون وإن كانت متفاوتة. ونتيجة عدم الطاعة كان عليهم أن يعانوا من وجود الأعداء في أرضهم، وما نتج عنه من آثار شريرة وانغماس في عبادة الأوثان. نعم لقد استفاد بعضهم من الأعداء، لكن ما خسروه كان أعظم، لقد كرروا نفس مأساة شاول الذي عفَا عن ملك أجاج وعن خيار الغنم، أما ياعيل فكانت تعرف الكتاب وتمسك بقوله، فلم تدع سيسرا يفلت من يدها حتى وإن كان حابر في ضعفه تصالح معه. لقد شابهت ياعيل في تحريمها لسيسرا كالب رجل الإيمان الذي «طرد بني عناق الثلاثة» (قض ١:٢٠).

إنكِ يا ياعيل أحكم من أخآب الملك الذي أظهر تساهلاً تجاه عدو الله وشعبه بنهدد ملك أرام.

لقد أعطى الله النصرة لشعبه على جيش ملك أرام (١مل٢٠: ٣٠) «وهرب بنهدد ودخل المدينة، من مخدع إلى مخدع»، ولجأ بنهدد ورجاله إلى الخديعة، فلبس رجاله المسوح وخرجوا إلى أخآب ليطلبوا منه العفو عن بنهدد ورجاله، وجاءوا متذلِّلين أمام أخآب يطلبون لأجل ملكهم: «يقول عبدك بنهدد: لتَحيَ نفسي». هذه الكلمات أرضت غرور الملك أخآب، فها هو ملك كان يهدده والآن يطلب منه العفو، ودون أي تقدير للعواقب عفا عن بنهدد وقال: «أ هو حي بعد؟ هو أخي» آه! لقد أسلمه الله ليده للقضاء عليه وإذ به يقول عن هذا الوثني: «هو أخي»! فيا له من ازدراء

لمجد الله وقداسته! بل جعل أخآب بنهدد يصعد إليه في مركبته وأقام عهدًا معه وأطلقه ورد إليه المدن التي أخذها أبوه وقال له: «إنـــي أرد المدن التي أخذها أبي من أبيك، وتجعل لنفـــسك أســـواقًا فـــي دمشق كما جعل أبي في السامرة. فقال: وأنا أطلقك بهذا العهد».

لقد دعا أخآب بنهدد أخاه لأن إلههم واحد، أو قلْ آلهتهم، فهـــذه الإخوَّة كشفت حالة قلب أخآب، هذا الذي خلَّصه الله من ضـــيقات كثيرة ما زال عابدًا للبعل، وعبدة البعل إخوة لـــه. آه! إن كـــسر وصايا الرب ليست دماثة خُلق والعفو عن الذي يحرِّمه الرب ليس رحمة، بل تهاونًا، والتساهل مع الخطاة ليس فضيلة ولا هو محبة، بل يجب أن نفحص قلوبنا وصداقاتنا.

أ ليس في هذا درس لنا يريد الله أن نتعلَّمه؟ نحن لـــسنا إخـــوة لأهل العالم، فنحن أولاد الله، ننتسب لعائلة الإيمـــان. إن صـــليب المسيح لم يرفع خطايا المؤمن فقط، بل وفصله عن العالم وعن أهل العالم ونظرًا لذلك على المؤمن أن يعتبر العالم قد مات بالنسبة لـــه وهو مات للعالم «صُلب العالم لي وأنا للعالم» وبفضله لنا أدخلنا في نسبة جديدة وعلاقة أفضل بقوة القيامة، وهكذا أصبح المؤمن فـــي جهة والعالم بأهله في جهة أخرى وعلى طرفي نقيض ولا علاقة له بالعالم.

لقد أطاعت ياعيل قول الله وحرَّمت سيسرا غير مبالية بـــصلح حابر معه، واضعة نصب عينيها مجد الله وشعبه خاضعة لقوله لأنه

إذا تكلَّم الله، فعلى الجميع أن يحنوا الرؤوس خشوعًا وإجلالاً دون نظر إلى العواقب من منظور الناس وهذه هي الأمانة له والاكتفاء برضاه.

حقًا يا ياعيل أنتِ أحكم من شاول ملك إسرائيل!، إنك مثل صموئيل الذي عالجَ أخطاء شاول الذي لم يفهم فكر الله ولم يتمم أقواله، ففي١صموئيل ١٥ أتى صموئيل النبي بكلام الرب إلى شاول: «هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرِّم كل ما له». لكن كان لشاول رأي آخر مضاد لقول الرب وفكره «فأمسك أجاج ملك عماليق حيًا .. وعفَا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم» (١صم ١٥: ٨ و٩)، وأظهر شاول حقيقة قلبه الأدبية وأنه ليس مستقيمًا أمام الله، فالأمر من الله أن يحرِّم عماليق لا يعفو عن ملكها، فالله يريد إهلاك عماليق، أما شاول فكان يريد العفو عنه وظن أنه يملك القوة والتمييز بين ما هو حسن وما هو نجس، فحرَّم كل الأملاك المحتقرة والمهزولة وعفا عن ما رآه جيدًا، ومنه أجاج الذي يقاوم شعب الرب ويقف عثرة في طريقه.

لقد رأى شاول في أجاج ما رآه أخآب في بنهدد، رآه أخًا له يستحق العفو، ذلك لأن الطباع والميول والرغائب بينهم في توافق تام، أما قول الرب، فليس له أي سلطان عليه، فعفا عن شبيهه أجاج

وفي رضا تام عن نفسه، يقول لصموئيل لما جاء إليه: «مباركٌ أنت للرب. قد أقمت كلام الرب» (١صم١٥: ١٣)!!

كيف وأجاج ملك عماليق في حماه حيًا؟ وعندما سأله صموئيل، وما صوت الغنم هذا في أذني وصوت البقر الذي أنا سامع؟ قال شاول: «من العمالقة .. لأجل الذبح للرب إلهك»!! وهل هذا يا شاول كان قول الرب لك؟ ما أشنعه اعتذارًا لنفس سقيمة تلبس أفعالها الردية ثياب تقوية!! كيف يقبل الرب ذبائح محرقة من شخص غير مستقيم القلب يكسر أوامره؟! لذا جاء جواب صموئيل قاطعًا: «هل مسرَّة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من المُلك» (١صم ١٥: ٢٢-٢٣)، لأنه كملك عاص لا بد أن يقود الشعب للعصيان. نعم فالطاعة للرب ولصوته أثمن بما لا يقاس من ذبيحة كهذه بها كسر لوصية الله، أما ملك أجاج العماليقي فلا بد أن يتم فيه قضاء الله، لكن برجل يعمل بقوة روح الله «وقال صموئيل قدموا إليَّ أجاج ملك عماليق. فذهب إليه أجاج فرحًا. وقال أجاج: حقًا قد زالت مرارة الموت»، آه! مخدوع يا أجاج، فلا فرار من الهلاك الذي حكم به الرب عليك نتيجة لأفعالك، وسيتعامل معك صموئيل حسب مباديء الحق لأنه مكتوب: «للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور» (خر١٧:١٩).

فعماليق يشير إلى الجسد الساكن فينا والقوة التي تعيق تقدم المفديين في أتباع الرب فاديهم، وعماليق هو حفيد عيسو الذي لأكلة واحدة لعدس باع باكوريته، فإن كان عيسو صورة للجسد، فإن عماليق صورة لأعمال الجسد، ونحن علينا بالروح أن «نُميت أعمال الجسد». فليتنا نحكم على كل ما هو مرتبط مع طبيعتنا العتيقة دون هوادة.

إن آخر مَن ورد اسمه من نسل العمالقة بالكتاب هو هامان بسفر أستير وانتهى معلقًا على خشبة، فلا تهاون مع مَن للرب حرب معه، ولا بد أن نكون مستعدين بكل حال لانتزاع كل شيء فيه رائحة للجسد، حتى نتقدم روحيًا، هذا هو سبيلنا للنصرة على الشر والخطية. وكما لم يقبل مردخاي أن يجثو أمام هامان العماليقي وكما لم تقبل ياعيل أن تعفو عن سيسرا، هكذا علينا ألا نتساهل مع العالم، إذا جثينا مرة، فسنعاودها مرارًا، فالرب يحارب عنا ويحارب بنا وشرف لنا أن يستخدمنا كما استخدم ياعيل هنا، والنصرة دائمًا تأتي من فوق، ولا تتوقف على مقدار قوتنا، بل على إيماننا بالرب يسوع المسيح وتعلقنا به.

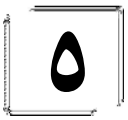

حتمية الهلاك

«ولم يبق ولا واحد. وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة. ياعيل .. هناك سقط مقتولاً» (قض٤: ١٩و٢٧).

قد أتاه الهلاك فجأة في ساعة لا يعرفها وفي وقت لا يتوقعه. لقد ظن سيسرا أنه نجَا، وبالفعل نجَا من سيف باراق، لكنه سقط بوتد ياعيل.

وأنت يا أخي ألا ينبغي أن تنتبه أكثر إلى ما سمعته لئلا تفوته؟ لأنك إن كنت تفوته الآن، فلن يمكنك الرجوع إليه حين تجد نفسك بين يدي الله الديَّان العادل. لقد نجوت بنفسك مرة ومرات من سيف الموت والهلاك، فلماذا لم تتعظ؟ احذر! فقد يأتيك وتد ياعيل المباغت ولا انفلات منه. إن الفرصة سانحة الآن فانتهزها قبل أن تضيع لأنه أغلق الباب، فلن يفتح بعد وتكون قد جنيت على نفسك جناية لا تعوض.

تذكر أخي .. إن كنت للآن لم تقبل الرب يسوع المسيح مخلِّصًا

شخصيًا لك، تذكر أن الموت أجرة الخطية، والموت تتبعه الدينونة «وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧). فهل تستعد للقاء إلهك؟ أنت لا تعلم متى وكيف، ثم ألا تسمع الصوت ينادي: «هوذا العريس مُقبل فاخرجن للقائه»؟ وهل تعلم أنه متى جاء العريس، فالمستعدات سيدخلن معه إلى العرس ثم سيُغلق الباب؟ نعم، وهذا الباب ليس ككل الأبواب، لأن الذي سيغلقه المكتوب عنه «يُغلق ولا أحد يفتح» (رؤ ٣:٧).

احذر! قبل أن تنتهي الفرصة إني أخاف عليك، لذا أرجوك من أجل خاطر نفسك الغالية الخالدة أن تتدارك الأمر الآن، فهذه اللحظة الوحيدة التي تمتلكها. لا تسوف ولا تهمل صوت الإنذار، قد لا يأتيك ثانية، ثم هل مسألة حياتك الأبدية هينة بهذا المقدار في عينيك حتى تهملها؟ ما هو أهم من أبديتك ليشغلك عنها؟ لا تسمع لصوت العدو. تعقل لأنه لا سبيل للإفلات من دينونة الله التي توصف في رومية ٢ بسبعة مباديء منها أنها حسب الحق وعادلة وبلا محاباة. فالله يرى حقائق الأمور والبواعث الداخلية، ودينونته حسب الحق تعني حسب الواقع بلا تزييف. فهو لا ينخدع بصورة المظهر الخارجي للفضائل. كما أن دينونة الله عادلة والصليب أعظم دليل على ذلك، فهو لم يشفق على ابنه الوحيد حينما كان حاملاً خطايانا في جسده على الخشبة. فالصليب أعظم دليل على محبة الله للبشر ورغبته في أن يخلِّصهم لا أن يدينهم، لكنه أيضًا أعظم دليل إدانة للخاطيء الذي أعد له الطريق ولم يقبل محبة الله ليخلص، وبعدل

حسب الحق سيُدان مَن لم يقبل خلاص المخلِّص العجيب، هنا ممكن الإفلات من جُرم بأن لا ينكشف أو ينكشف ولا يثبت بالأدلـــة، أو لوجود نفوذ ومحاباة ورشوة، فينفلت المجرم مـــن العقـــاب الـــذي يستحقه، أما دينونة الله التي حسب الحق وعادلة وبلا محاباة، فـــلا إفلات لخاطيء منها.

وأنت أخي .. تستطيع أن تخلص من الدينونة بأن تفعل مثلمـــا فعلت أنا وكل المؤمنين الذين قبلوا الرب يسوع المسيح مخلِّـــصًا. وتعترف كما اعترفنا، تعترف بفسادك واستحقاقك للدينونة وتخضع لتبكيت الروح القدس وجهاده مع نفسك وتقبل الرب يسوع المـــسيح ربًا وفاديًا ومخلِّصًا شخصيًا لك بالإيمان، فتنتقل من المـــوت إلـــى الحياة ولا تأتي إلى دينونة.

احذر! لا انفلات من دينونة الله ولا نجاة منها، وما دمنـــا فـــي أرض الأحياء، فيوجد لك رجاء، لقد جاء الرب يسوع «لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك» (لو ١٩:١٠). فالتفت إليه لتخلص من أعماق جهنم ومن الغضب الآتي، اهرب لحياتك بالتوبة، تنجُ من الهـــلاك، انظر إليه بعين الإيمان، فتخلص. لا تهمل! فكيف تنجو إن أهملـــت خلاصًا هذا مقداره (عب٢: ٣).

لا تكن مثل الأعمى الكسيح الذي يحاول الإفلات مـــن قبـــضة المبصر القوي، ولا تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب.

وفي دانيآل ٥ نرى القضاء المباغت على بيلشاصر الملك الذي

لعبت الخمر برأسه وأخذته نشوة الكبرياء والغرور وفي تبجح لم يعبأ بقدسية آنية هيكل الرب وأمر بإحضارها ليشرب بها، هو وعظماؤه وزوجاته وسراريه، وهو يسبِّح آلهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر (دا ٥:٤). وهكذا وصل إثم بيلشاصر إلى منتهاه. وإذ بالله يعلن له عن الدينونة القادمة، فارتعد الملك «تغيَّرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره، وانحلَّت خَرز حقويه، واصطكَّت ركبتاه» (دا ٥:٦). لكنه اتجه الاتجاه الخاطيء ولم يراجع نفسه لتدنيسه آنية بيت الله ولم يتذلل أمام الله، بل في غرور حتى وهو تحت القضاء الإلهي يتباهى بما بيده من عطايا يقدمها لمن يقرأ الكتابة ويعرف تفسيرها، ولا يدري المسكين أن سلطته، بل حياته على الأرض ستنتهي في ذات الليلة. ودخل إليه دانيآل ووضح له حيثيات قضاء الله عليه المباغت والمفاجيء، وقتل بيلشاصر وتحولت ليلة لذته إلى رعدة كما وصفها إشعياء في نبوته التي كانت قبل وقوع هذا الحادث بـ ١٥ سنة (إش٢١: ٢- ٥).

وانتهت في هذا اليوم مملكة الكلدانيين، كما تنتهي كل الممالك والأمجاد وتزول ويقف كل واحد ليعطي حساب وكالته. فهل تتعقل أخي وتنتبه إلى مصيرك الأبدي؟ احذر! «الكثير التوبخ، المقسى عنقه، بغتةً يكسَّر ولا شفاء» (أم٢٩: ١).

لا تكن مثل الغني الغبي الذي كان يعمل تدبيرًا لنفسه لسنين

عديدة، بينما كانت نفسه ستُطلب منه في ذات الليلة، وكما طلبت نفس سيسرا في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها. احذر وتد ياعيل المُباغت وتعقَّل!!

لقد تجبَّر الملك أشور وأرسل رسالة تعييرًا إلى حزقيا التقي (٢مل١٩) ووجه هجومًا مباشرًا على اسم الرب الذي يوقره حزقيا، ورفع حماقته ضد قدوس إسرائيل وانتفخ مزهوًا بنجاحه. لكن الرب الذي لا يُشمخ عليه يقول: «لكني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليَّ. لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعدَا إلى أُذني» (٢مل١٩: ٢٧).

وبالرغم من أن جيش العدو كان يحيط بأورشليم، لكن الله يتدخل لأجل اسمه واستجابة لطلبة أتقيائه، وفي ذات الليلة ضرب معسكر أشور. وفي الصباح وجدوهم جميعًا جثثًا ميتة وفاجأهم الملاك المُهلك وطواهم الظلام الأبدي في وقت لا ينتظرونه، وملك أشور نفسه الذي أسقط الله من حساباته، نجا وخاف وهرب و ذهب راجعًا في نينوى. وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه ضربه أدرملك وشرآصر ابناه بالسيف «قتله هناك بالسيف الذين خرجوا من أحشائه» (٢مل ١٩: ٣٧؛ ٢أخ ٣٢:٢١)، قُتل بعد أن نجا ورجع بخزى الوجه إلى أرضه، وقُتل من ابنيه وليس بيد أعدائه، وقُتل وهو في حمى نسروخ إلهه العاجز عن أن يخلِّص مَن يلجأ إليه!!

نعم القضاء والدينونة حقيقة حتمية، فالله مهوب «أنت مهوب

أنت، فمَن يقف قدامك حال غضبك» (مز٧٦:٧).

لا سلاطين ولا قوات ولا ملوك لهم نجاة من دينونة الله «لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب» (صف١: ١٨).

فتحذَّر أخي! فإن كان القضاء على العمل الرديء لا يُجرى سريعًا، لكنه في وقته سيُعلَن. وإن كنت تصم أذنيك عن سماع صوت النعمة، لكنك لن تستطيع أن تتحاشى رعود غضب الله. فإن كنت نجوت من موت محقق مرة ومرات، فاحذر وتد ياعيل المباغت.

ياعيل لم تعلم بالقوة الكامنة فيها

يقيناً كانت ياعيل لا تعلم بالقوة الكامنة فيها، ولم تتدرب كيف تمسك بالوتد، وكيف تجعل الميتدة في يدها، ولا ما هو المكان القاتل للعدو، لكن الرب وضعها في هذا الموقف لتستكشف القوة الممنوحة لها ولا تعرفها، فدفعها إلى المُعترك لتستخدمها.

إن الله يريد أن يكون أولاده رجالاً، لذلك لا يتركهم ينامون في فراش وثير، بل يدفع بهم إلى معترك الحياة ليكتسبوا صفات المحاربين. والرب أعطانا صورة جميلة جدًا لحكمته وعنايته المترفقة بنا التي يحيطنا بها وفي نفس الوقت ليدربنا على استخدام القوة الممنوحة لنا ولا نعرفها، ففي تثنية ٣٢:١١ و١٢ «كما يحرِّك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب ..». فالنسور الصغيرة لديها أجنحة لكنها لينة وضعيفة وفي منتهى العجز، والنسر الكبير يعرف أن صغاره

يحتاجون للتدريب لأن الكواسر من حولهم، والله وهب لصغاره أجنحة، لذا لا بد وأن تستخدم هذه الأجنحة لتصير قوية قادرة على التحليق في الجو. وهنا يبدأ النسر الكبير يضرب العش المريح الدافيء الذي أعده قبلاً لفراخه ورتبه لهم. ويقوم ويضرب بأجنحته القوية العش، فيهتز العش ثم يدفع فراخه الصغيرة من داخل العش، فتتحرك الفراخ الصغيرة في محاولة للطيران، وإذ بها تفاجأ بعدم قدرتها، وتنظر بعينيها أسفل فتجد هوة كبيرة، فتجاهد ألا تسقط، فتحرك أجنحتها في محاولة للطيران لتفاجأ بأن أجنحتها ضعيفة لا تحملها فتبدأ في السقوط، لكن سرعان ما تجد النسر الكبير يبسط جناحيه في الحال تحتها لتستقر على ظهره آمنة، لكنه يعود بها ليس إلى العش، بل إلى ارتفاع أعلى، ومن هناك يعاود المران من جديد وتعاد نفس الكرة، ولكن في كل مرة تتقوى الأجنحة حتى تقوى على الطيران وتحاكي النسور.

فيا لها من صورة بديعة استخدمها الروح القدس ليظهر بها شفقة الرب الحكيمة في تدريب أولاده لأن إبليس خصمنا «كأسد زائر يجول ملتمسا مَن يبتلعه هو» (١بط ٥:٨)! فعلى المؤمنين أن يكونوا رجالاً «كونوا رجالا. تقووا» (١كو ١٦: ١٣).

وتوجد لنا قوة عظيمة مذخرة في الرب «تقوَّوُا في الرب وفي شدة قوَّته» (أف ٦:١٠)، وبولس يقول لتيموثاوس: «فتقوَّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع» (٢تي٢: ١).

فعظمة قدرة الله هي بالنعمة لحسابنا، إذ يقول في أفسس ١:١٨ «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا .. ما هي عظمة قدرتـــه الفائقـــة نحونا نحن المؤمنين حسب شدة قوته».

لهذا يرى أبونا السماوي أنه من اللازم لتقويتنا أن يهز عشنا أو حتى يقلبه رأسًا على عقب لنختبر القدرة على الطيران في مـــسالك الهواء بالقوة المذخرة لنا فيه، ولا خوف علينا لن نهبط ولن نهوى لأننا بالإيمان نرى الأذرع الأبدية من تحت ترفعنا وقبـــضة إلهنـــا القدير الأمين الحكيم تمسك بنا. هذا ما حدث مع ياعيل هنا حـــين أمسكت الوتد وجعلت الممتدة في يدها ولم تخف أن يستيقظ سيسرا من نومه وينتقم منها لأن يد القدير أعطتها القوة وأعطت سيـــسرا نومًا مثقلاً، فسقط بيدها ميتًا والوتد في صدغه.

لقد ظن بطرس أنه سيغرق، فصرخ: «يا رب نجنـــي. ففـــي الحال مدَّ يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليـــل الإيمـــان! لمـــاذا شككت؟». نعم، قد يضعف إيماننا حين نرى أبانا المحـــب يقلـــب العش، فنصرخ: لماذا يا رب؟ لكن علينا أن نثق في حكمته ومحبته وقدرته على أن يخلِّصنا من كل ما سمحت العناية الأبوية لتـــدريبنا أن نجتاز فيه. لأن الله إذا وضع علينا حملاً وضع يده أيضًا تحتنا ليحملنا بحملنا، وكل معاملات الله معنا بحكمة صُـــنعت، فالبلايـــا والآلام والظروف المعاكسة هي لتقويتنا لتجعل منـــا رجـــالاً فـــي الإيمان، ولنعلم بالقوة الكامنة فينا، فعلينا أن نترك عشنا لمَن معـــه

أمرنا يهزه أو يثبته، فهذا أو ذاك لخيرنا، والله يعطي أحلى الاختبارات للمؤمن في أقسى الظروف، ولا بد أن نخرج من وادي الألم بغنائم وافرة، فنخرج أغنى مما كنا عليه قبل اجتيازنا في الضيق وسيعظم انتصارنا متى سلبنا الغنائم من عدونا وخرجنا أعظم من منتصرين وسيسقط عدونا تحت أقدامنا، كما حدث مع ياعيل.

نعم ياعيل لم تكن تعلم بالقوة الكامنة فيها، إلا عندما وجدت سيسرا أمامها حين وضعها الرب أمام المعركة في مواجهة فحاربت وانتصرت وبوركت. فالرب حين يضعنا في مواجهة مع العدو يعطينا القوة لمحاربته ومادامت لنا التدريبات الروحية، فحين نواجه العدو سنثبت ونغلب.

إن التدريب في حياة المؤمن يغيِّر رائحته وطعمه، فيزداد نضوجًا وتشبهًا بالمسيح، فيظهر جماله عليه «لتكن نعمة الرب إلهنا علينا (أو ليكن جمال الرب إلهنا علينا)» (مز٩٠: ١٧).

ويقال عنه ما قيل عن العروس نشيد ٧: ٨: «رائحة أنفكِ كالتفاح»؛ أي أن ننشر روائح اسمه الكريم بعد أن نشبع به وننتعش، فهذه هي قوة الحياة المسيحية.

وما أبعد الفرق بين رائحة أنف عروس النشيد ورائحة موآب المستريح منذ صباه وهو «مستقرٌ على دُرديِّه، ولم يُفرَغ من إناءٍ إلى إناءٍ، ولم يذهب إلى السبي. لذلك بقى طعمه فيه، ورائحته لم

تتغير» (إر٤٨: ١١).

لقد كان موآب – كما تدل الآثار – ذا ثراء ويتضح ذلك من كونه يؤدي جزية إلى إسرائيل ١٠٠ ألف خروف و١٠٠ ألف كبش بصوفها (٢مل ٣: ٤)، وكان مستريحًا والنتيجة «بقى طعمه فيه ورائحته لم تتغير»، لكنه لو كان قد فُرِّغ من إناء إلى إناء كما في حالة تصفية الخمر لصارت رائحته أجمل وطعمه ألذ، لكنه احتفظ برائحته الغير جيدة وطعمه الغير مرغوب فيه. أما العروس فلقربها وخضوعها ليد الرب الحكيم صارت رائحة أنفاسها تنشر روائح اسمه الكريم «رائحة أنفكِ كالتفاح»، وبالتدريب صارت تخبر «بفضائل الذي دعاها من الظلمة إلى نوره العجيب». فهذا ما يفعله التفريغ من إناء إلى إناء فينا، أو ما يفعله النسر في تقليب العش على فراخه، فيا ليتنا نتذوق حلاوة معاملات الله التدريبية أو التأديبية معنا. ولنتذكر أن «كل تأديب في الحاضر لا يُرَى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيرًا فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب١٢: ١١). فالأحداث التي قد تكون مأساوية أو التفريغ من إناء إلى إناء تجعل منا مؤمنين ناضجين، هذا ما حدث مع يوسف، فإساءة إخوته له وافتراء زوجة فوطيفار ثبت يوسف في الرب أكثر واكتسب نضوجًا روحيًا، وما قاساه أيوب جعله يزداد فهمًا للرب ويزداد نضوجًا في الإيمان ورحلة العروس كان بها جبال مشعبة، لكنها كانت لتصل بها إلى الجلوس في الجنَّات في صفاء وسلام وازداد شوقها إلى مجيئه وإلى جبال الأطياب. فإلهنا

المعبود المجيد وراء كل ما يحدث وعنده المنفذ والحل لكل ما يقلقنا وسيخرجنا من الضيق أكثر صلابة وسنختبر كيف نحلِّق بالإيمـــان في الأجواء العليا، وسنعرف القوة الكامنة فينا، فنتقوَّى في المـــسيح وفي شدة قوَّته.

لـــــــذا لا نـــــــضجر عنـــد تـــراكم الهمـــوم
إذ نعلـــــــم بثقـــــــة أن الآلام لا تـــــــــدوم
هـــذا طريـــق المـــؤمن بموجـــب الوعـــد الـــثمين
فلنتقـــو فـــي المـــسيح ونلتجـــيء إلـــى المُعـــين

الله لا يتركنا بلا موارد

«فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة .. وضربت الوتـد في صدغه .. فمات».

إن الرب يريد أن يعلِّمنا أنه يدعونا كما نحن ويستخدمنا بما في أيدينا، وهو له كل المجد لا يتركنا بلا موارد حتى وإن كانت قـبلاً موجودة ولا يلتفت إليها كأداة سيستخدمها الرب يومًا. فهـا وتـد الخيمة بيد ياعيل يصنع عظائم، تمامًا مثلما استخدم الرب العـصا التي كان يهش بها موسى غنم يثرون صارت أداة يخلِّص بها الرب شعبه ويشق بها طريقًا في اليم ليعبر في وسطه مفديوه، ثم يضرب بها الصخرة الصوانية، فتخرج مياهًا لإرواء ظمـأ ذلـك الـشعب العظيم في القفر. ومنساس بقر بيد شـمجر بـن عَنـاة يخلِّـص إسرائيل، ومجرد رغيف خبز من الشعير رمز به الرب في حلـم لرجل مدياني، وفهمه رجل مدياني آخر فهمًا صحيحًا وأخبره أنـه

سيف جدعون بن يوآش وأن الرب دفع المديانيين ليد جدعون، ومحاربة الذين بلا سيف ولا رمح بل بجرار فارغة وأبواق لكنهم أحرزوا انتصارًا مجيدًا، وبلحي حمار بيد شمشون قتلَ ألف رجل، ومقلاع لقذف الأحجار بيد داود راعي الغنم يرمي به حجر، فيستقر في جبهة جليات الجبار وإذ يسقط على الأرض يركض داود وبذات سيف جليات يقطع رأس ذلك المجدف على اسم الله الحي.

نعم الله لا يتركنا بلا موارد ولو وتد خيمة، ولو «دُهنة زيت» ليبدأ العمل منها. فقد سأل أليشع الأرملة الفقيرة: «أخبريني ماذا لكِ في البيت؟» (٢مل ٤: ٢)، فقالت: «ليس لجاريتك شيء في البيت إلا دُهنة زيت»، أي مجرد مسحة قليلة، لكنها ملأت كل الأوعية الفارغة وسددت الأعواز. وهذا ما حدث مع التلاميذ، إذ قالوا للرب: «ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان». فقال لهم يسوع: «ائتوني بها إلى هنا»، ثم بارك وكسر الأرغفة وأعطاها للتلاميذ والتلاميذ وزعوها على الجموع.

فالله لا يتركنا بلا موارد يستخدمها مهما كانت ضعيفة، بل يسر بأن تكون ضعيفة لأنه هو كاف لأجراء عظائم بها وحتى لا يكون هناك فرصة للافتخار على الله، فيقول: «يدي خلَّصتني» (قض ٧: ٢). لقد قال يوناثان لحامل سلاحه: «ليس عند الرب مانع أن يخلِّص بالكثير أو بالقليل» (١صم ١٤: ٦). هذا صحيح، ولكن أيضًا يُسر الرب أن يخلِّص بالقليل لئلا ننسب فضل النصرة إلى

نفوسنا وقوتنا.

قد يظن الناس أن الأعمال الجليلة تقتضي استخدام وسائل عظيمة، لكن طرق الله تختلف والأعمال الجليلة تنجز بوسائل بسيطة لأن القوة ليست في الوسائل، بل في يد الله التي تستخدمها، وسرور الخالق العظيم هو أن يستخدم إمكانياتنا البسيطة والقليلة التي عندنا، فهو يريد أن يشركنا معه. فها وتد ياعيل الذي لم تره يومًا كسلاح بيدها ها هو يسحق سيسرا، والرب سر أن يستخدمه ويُحدِث خلاصًا عظيمًا.

نعم يا ياعيل لقد اختبرت قول الحكيم في جامعة ٩:١١ «أن السعي ليس للخفيف، ولا الحرب للأقوياء»، فلم تسعَ أنتِ وراء سيسرا، بل يد القدير الكريم المحركة لكل شيء والمتحكمة في كل الأمور أتت به إليكِ. وفزتِ في حرب وأنتِ لستِ قوية «ولا الحرب للأقوياء». وما أكثر مشاهد الكتاب التي تؤكد أن الانتصار من نصيب الضعفاء، بل من لا قوة لهم وبآلات وأدوات لم تكن يومًا أسلحة حرب مثل انتصار داود على جليات ويشوع على جبابرة عماليق وانتصارات جدعون ويفتاح وصموئيل ويهوشافاط. وفوق الكل مظهر الضعف في الصليب ودخول ربنا يسوع المسيح أمام رئيس هذا العالم وكل رياساته وسلاطينه، وبالصليب جرَّد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهارًا ظافرًا بهم في الصليب، وأباد بالموت رئيسهم الذي له سلطان الموت. فالصليب حسب الظاهر

كان انتصارًا لقوى الشر ولكن في الحقيقة كان تجريدًا لها من سلطانها.

لقد ارتجت الأُمم وتفكر الشعوب بالباطل، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه قائلين: «لنقطع قيودهمَا ولنطرح عنا ربطهمَا» (مز٢). فكانت المؤامرة وصلب المسيح وظن العدو أنه قد غلب، لكن شكرًا لسيِّدنا ومعبودنا من كل القلب على نصرته التي هي نصرة لنا! فقد قام المسيح منتصرًا وفتحت له أبواب السماء بالبر لا ليدخل بمفرده، بل لندخل نحن معه والذي أسلم من أجل خطايانا أُقيم لأجل تبريرنا، والله أقامه من الأموات شهادة على رضاه بكمال عمله وكل الذين يؤمنون بالمخلص المقام قد نجوا إلى الأبد من الغضب والدينونة.

عجيج عدل الله قد أسكته إلى الأبد
لما طمت لججه عليك يا نعمة السند
أمواجه هدأتها إلى التمام يا حبيب
إذ كنت عنا نائبًا بموتك على الصليب

ففي الصليب كانت دينونة هذا العالم (يو١٦: ٨-١١)، وفي الصليب دين الشيطان رئيس هذا العالم. وفي الصليب «صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل٦: ١٤). نعم فالانتصارات العظيمة غالبًا هي بأدوات محتقرة.

لقد استخدم الله الصلح الذي بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني «لأنه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني» (قض ٤:١٧)، لأن مقاومة الإنسان لفكر الله لن تغير من خطة الله، بل تؤول إلى حمد الله وتمجيده «لأن غضب الإنسان يحمدك، بقية الغضب تتمنطق بها» (مز٧٦:١٠).

لقد تصالح حابر القيني مع ملك حاصور مما جعل سيسرا يهرب إلى خيمة ياعيل امرأة حابر، لكن الصلح لم يفده طالما جاء وقت قضاء الله. وأظهر الله عنايته بشعبه، إذ سلب أشداء القلب، ناموا سنتهم، كل رجال البأس لم يجدوا أيديهم (مز٧٦:٥). لقد جاء سيسرا لينام وليهرب مستغلاً الصلح مع بيت حابر، فنام ولم يستيقظ، بل فقدَ القدرة على المقاومة وعجز عن تحريك يديه ولم يقدر أن يحمي نفسه من وتد ياعيل المباغت التي لجأ إليها بسبب الصلح وصار هذا الصلح هو الفرصة لتحقيق مقاصد الله، وهذه هي طرق الرب دائمًا. فهذا الصلح لم يكن منهم دون أن يكون الله مسيطرًا على كل مجريات الأحداث.

لقد سمح الرب بسقوط الإنسان في الخطية عن طريق غواية الشيطان الغرض حكيم وعظيم، فما كان يمكن أن يعرف الله حق المعرفة عن طريق الخليقة وحدها، فقدمت الخطية فرصة لإعلان نعمة الله العجيبة، وحكمته السرمدية ومحبته الأزلية.

نعم! فلقد أفسدت الخطية وشوهت الجمال الذي عمله الخالق،

لكن هذا التشويه عينه والقبح الذي أصاب الخليقة بسبب السقوط، أظهر لنا قوة الله وحكمته وبره ونعمته ومحبته. ذلك لأن الشيطان وملائكته الأشرار ما هم إلا عبيد يخدمون مقاصد الله، كلهم أوانٍ يتمجد هو، له كل المجد بها برغم أنهم أوانٍ للهوان.

إن إثم الإنسان وسقوطه قد بينا بر الله الكامل، وأعلنا محبته الأزلية المطلقة. ولو لم يسقط آدم لبقى متمتعًا بالحياة في جنَّة عدن، لكن سقوطه أعطى الفرصة لإظهار محبة الله العجيبة من نحو الإنسان حتى بذل ابنه الوحيد من أجله وأعطاه حياة تفوق حياة آدم في الجنة بما لا يقاس، فهذه الحياة هي في ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح. فعوضًا عن الخلود في الجنَّة الأرضية قد أعطانا الله خلودًا في سماء المجد ولا يسعنا الآن أن نعدد البركات الكثيرة التي منحها الله للإنسان الساقط. لقد أظهر إخوة يوسف قسوة عليه وطرحوه في البئر ليهلكوه، ثم رفعوه من البئر ليبيعوه عبدًا، لكن كل هذا كان بسماح من الله ليصور من يوسف رجلاً يستخدمه «أرسل أمامهم رجلاً، بيع يوسف عبدًا» (مز١٠٥: ١٧)، وكما قال يوسف نفسه لإخوته: «لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم .. فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله» (تك ٤٥: ٥-٨).

فإن كنا نرى قسوة إخوته لكن من الجانب الآخر نرى يد الله،

فهو الذي أرسله ويده هي التي تتحكم في كل شيء، وصار صاحب الأحلام، ففسر الأحلام وزُج البريء في السجن من افتراء امرأة قاسية شريرة «ومرَّرته ورمته واضطهدته أرباب السهام» وتحت وطأة الاتهام الكاذب زُج به في السجن، لكن في السجن التقى بعبيد الملك لتصل أخباره إلى فرعون في الوقت الذي عينه الرب، وقت مجيء كلمته «أرسل الملك فحلَّه»، وخرج يوسف من السجن إلى المجد لينفذ مخطط الله الذي كان قد أعلنه لإبراهيم (تك ١٥)، وبدأ تكوين أُمَّة إسرائيل وتم وعد الرب لإبراهيم أن نسله يكون مثل نجوم السماء في الكثرة وكالرمل الذي على شاطيء البحر الذي لا يعد، وصار هؤلاء الغرباء السبعون، نواه لأُمَّة إسرائيل، فتغرَّبوا في أرض ليست لهم ثم بالإيمان ينطق يوسف منطوقه الموافق لفكر الله ويوصي إخوته في آخر سفر التكوين من جهة عظامه، ممسكًا بمواعيد الله بالإيمان ويقول: «الله سيفتقدكم ويُصعدكم من هذه الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب» (تك٥٠:٢٦). كان يوسف واثقًا من صدق أقوال الله وبالإيمان وهو في ذروة المجد أدرك أن هناك أيامًا حزينة مؤسفة ستأتي على بني إسرائيل لأن الله الصادق قال لأبرام: «اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة .. وبعد ذلك يخرجون» (تك ١٥:١٣ و١٤). فرأى وسط الأمجاد التي يحيونها مذلة مقبلة ورأى أيضًا أمانة الله التي اختبرها في حياته. لكن ماذا لو لم يحسد إخوة يوسف أخاهم؟ ماذا لو لم يبع إلى قافلة

الإسماعيليين الذاهبة إلى مصر؟ ماذا لو بقي في السجن؟ لا علينا أن نفكر في هذا ولا علينا أن نتخيله في قميصه الملون في حضن أبيه مدللاً أو على أقصى تقدير يرعى غنم، فظلم إخوته وقسوة المرأة الشريرة وغضب الملك على الساقي، وطرحه في السجن ليلتقي بيوسف كلها معًا حبكت قصة خروجه ووصوله إلى المجد بما فيها من الجوع الشديد ونزول إخوته وكل مفردات القصة. فعلينا أن نثق أن الله يمسك بكل أمورنا الحياتية بحلوها ومرها ويقدر كل فرد بذاته ويهتم بكل شئونه كبيرها وصغيرها.

تذكر أخي .. إن الصلح الذي بين يابين ملك حاصور وبين حابر القيني كان بسماح من الله، وإن كان حابر مخطئًا فيه، لكن الرب استخدمه كما استخدم السقوط لبركتنا، وكما استخدم قسوة إخوة يوسف خير إسرائيل. نعم ما أجود راعينا الصالح الأمين المحب وما أطيبه وأرق قلبه من جهتنا!!

لقد ضل الخروف في لوقا ١٥ وعزم الراعي الصالح في نعمته أن يبحث عنه «حتى يجده» وعندما وجده لم يعده إلى مكانه مع التسعة والتسعين، لكن «إلى بيته» وهناك ينزله من على منكبيه.

لقد فقد الخروف البرية، لكنه أنعم عليه بيت الراعي. وضل الابن الأصغر في عصيان وتمرد (لو١٥)، وكاد يموت جوعًا، وكانت أول خطوة في طريق الرجوع حين شعر بحاله وأدرك ما لم يدركه قبلاً وهو أن بعده عن حضن أبيه سيهلكه، فعزم على

الرجوع ولم يتهاون، بل «قام وجاء إلى أبيه. وإذ كان لم يزل بعيدًا رآه أبوه، فتحنَّن وركض ووقع على عنقه وقبَّله» (لو١٥: ٢٠) ولأن الأب كان يترقب رجوع ابنه «رآه من بعيد»، نعم لأن قلب الله وأحشائه لا تستريح إلا برجوع الخاطيء إليه، لأنه لا يشاء أن يهلك أحدٌ، بل يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

وما أروع هذا المشهد! فالابن ثيابه رثة ورائحته من الخنازير كريهة، إلا أن الأب هو الذي ركض إليه ودون كلمة توبيخ واحدة «وقع على عنقه وقبَّله» واكتفى فقط باعتراف ابنه «أخطأتُ» ولم يمهله الفرصة ليكمل اعترافه «اجعلني كأحد أَجْراك» لأنه ابن والابن إن أخطأ لا يعود عبدًا، بل يحتفظ بمركزه كابن. وألبسته نعمة أبيه ثوبًا جديدًا حُفظ له «قال لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه، واجعلوا خاتمًا في يده، وحذاءً في رجليه، وقدموا العجل المُسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح».

لقد أخطا الابن، لكن النعمة أعدت له عند توبته أمورًا لم يحصل عليها من قبل. كان يلبس حلة اعتيادية والآن يلبس "حلَّة فضلَى"، وزيَّنه بالخاتم، الذي بالنسبة لنا عربون لذلك المجد الأبدي والميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. فلم يكتفِ الله بأن يكسونا ثوب البر الذي نسجه الرب يسوع لنا فوق الصليب ولكنه أعطانا عربون المجد الأبدي بسكنى الروح القدس فينا «إذ آمنتم خُتمتم

بروح الموعد القدوس، الذي هو عُربون ميراثنا» (أف ١٣:١)، وها الأرجل أيضًا احتذيت «حذاءً في رجليه» ليمتد إلى قدام «نحو جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع».

وليس هذا فقط فقد أعد الله للإنسان الخاطيء التائب المعترف بالرب يسوع ربًا و سيدًا على حياته، أعد له وليمة سماوية «تشتهي الملائكة أن تطلع عليها» (١بط ١٢:١).

فلقد أبقى لنا نحن المساكين الذين كنا قبلاً بلا إله وبلا رجاء، أبقى لنا العجل المسمَّن.

والأروع من ذلك إن الشبع والسرور والفرح ليس من نصيب الابن الراجع وحده، لكنه مشترك بين الأب المُحب والابن الراجع إليه، فقد تنازل الله وأعطانا نصيبًا معه في التلذذ بابنه، ذلك الطعام المشبع لتكون لنا شركة معًا.

ألا ترى معي أن الله يستخدم أخطاءنا ويحولها إلى بركة لنا؟ ألا ترى أن الله يسمح بأشياء ترى أنها مرة ليصنع أمورًا مباركة؟ فلماذا حدث هذا الجوع الشديد وابتدأ هذا الشاب يحتاج؟ ولماذا يحدث الجوع بعد أن ينفق كل ماله؟ إنها يد القدير الأب المُحب الذي يبحث عن خلاص نفوسنا وعودتنا إليه، فإذا استخدمنا الرخاء الممنوح منه لنا في البعد عنه، لا بد أن يستخدم الشدة والضيق والجوع لعودتنا إلى أحضانه، فما أعظمه وما أحكمه!

لقد استخدم الصلح الذي بين حابر القيني وملك حاصور لوقت

القضاء ونصرة شعبه، واستخدم السقوط للبركة ودخولنا بيت الأب، واستخدم الجوع لعودة الابن الضال، وحول كل ظروف يوسف القاسية ليستبقى نجاة عظيمة، وهكذا على طول الخط نرى النعمة تسمو وندرك أن الله مسيطر على كل المجريات، فما أجوده وما أحكمه وعلينا أن نثق في أمانته وحكمته ومحبته.

سَحْق سيسرا، ظل ليوم الله القادر على كل شيء ومعركة «هرمجدون»، لقد استخدم الرب ياعيل في سحق سيسرا، وكسب الشعب المعركة على أعدائهم. ومثلما حدث ليابين ورئيس جيشه سيسرا وتجمعوا ليسحقوا فهذا ظل لتجمعهم في المستقبل «لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء .. فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون» (رؤ١٦: ١٦-١٤).

إن الملوك والقواد يأخذون أمر التحرك والتجمع للحرب بعد مداولات كثيرة، ظانين أنهم أصحاب القرار لكن الحقيقة أنهم جميعًا ينفذون خطة الله ولإتمام غرضه في الوقت الذي عيَّنه والمكان الذي حدده.

فنقرأ:

«فدعا سيسرا جميع مركباته، تسع مئة مركبة من حديد، وجميع الشعب الذين معه من حَروشة الأمم إلى نهر قيشون» (قض٤: ١٣).

وحاربهم الرب:

«جاء ملوك. حاربوا. حينئذ حارب ملوك كنعان في تعتك على مياه مجدو. بضع فضة لم يأخذوا. من السماوات حاربوا. الكواكب في حبكها حاربت سيسرا. نهر قيشون جرفهم» (قض ٥:١٩ و٢٠).

فالذي حدث هنا هو نبوة عما سيحدث في المستقبل، حين تجتمع الجيوش لا لتحارب مع بعضها ولكن لتحارب الرب نفسه. في «هرمجدون» الاسم العبري لمجدُّو الذي نتكلَّم عنه هنا، ذات المنطقة التي سارت فيها جيوش سيسرا (قض ٥:١٩).

وتعني كلمة هرمجدون «جبل مجدُّو» الذي يعني "جبل الذبح"، وإلى الشمال الغربي منه يقع جبل الكرمل عند نهر قيشون المذكور أيضًا هنا (قض ٥: ١٩)، هذا المكان الذي شهد قبلا قتل إيليا أنبياء البعل، وإلى الجنوب الشرقي منه يقع جبل جلبوع الذي قُتل عليه الملك شاول الذي اضطهد الملك الحقيقي داود مسيح الرب، وإلى الشمال منه يطل جبل تابور، حيث نرى هنا باراق وسيسرا رئيس جيشه وقد جمع وراءه عشرة ألاف رجل ليحاربوا إسرائيل (قض ٥:١٤).

هل تلاحظ معي أسماء الأماكن وكيف أن الرب حددها لتكون ظلاً لأمور مستقبلة؟ جبل مجدو، جبل الكرمل، جلبوع، جبل تابور، نهر قيشون.

وقد ذكرت مجدُّو في الكتاب حوالي ١٢ مرة، ورقم ١٢ كما

نعرف يعني مما يعني سياسة الله وسيادته في العالم، أي أن الله في هذه المعركة سيقضي على الأُمم المجتمعة وبذلك يقضي على حكومة الإنسان ويثبِّت حكومته هو، حكومة البر والعدل.

ففي قضاة ٥:١٩-٢١ حيث انكسر جيش يابين ملك كنعان على يدي باراق و دبورة، نرى رمزًا عجيبًا إلى الموقعة العظيمة المستقبلة معركة هرمجدون، جبل مجدُّو، جبل الذبح، جبل الجثث المكدسة، حين ينزل الرب من السماء لخلاص شعبه وإبادة أعدائه وإقامة حكومته المجيدة.

وهرمجدون يمتد من حيفا جنوبًا إلى عكا شمالاً، وهو واحد مع وادي يهوشافاط، أي وادي قضاء الله، لكن يهوشافاط من الشرق خارج أورشليم عند سفح جبل الزيتون، وفي يهوشافاط القضاء على جيوش ملك الشمال والمتحالفين معه «وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده، إنه قد جمعهم كحُزم إلى البيدر» (مي ٤:١٢).

فيهوشافاط من الشرق، لكن هرمجدون من الغرب وفيها يتم هلاك جيوش الوحش والنبي الكذاب.

وإن كنا في قضاة ٤ رأينا حسم المعركة سريعًا بيد باراق ودبورة وسحق سيسرا بيد ياعيل والنصرة في «مجدُّو» والدوس بعز، فهذا بالرمز لمعركة هرمجدون القادمة التي لن تكون طويلة، كما يحدث في المعارك بين الدول، فبرغم أن الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين (رؤ١٩: ١٩)، إلا أن النصرة مؤكدة

من البداية، وفي أقل من لمح البصر سيُقبض على القائدين في الحال، وتهلك كل جيوشهما معًا، وسيقضي الرب عليهم.

بقي أن نقول إن الأعمال التي تُعمل في الخلاء بخيرها أو شرها لا بد أن تخرج خارج الخيم أو البيت، وليس فحسب، بل تذهب عبر الأجيال والتاريخ إلى أبعاد لا يمكن تصورها «لأنه ليس مكتوم لن يُستعلَن ولا خفي لن يُعرَف». فلم يكن بالخيمة سوى ياعيل، لكن الأمر استُعلن وكان سببًا لفرح شعب الرب وترنمهم.

تأمل في النساء اللواتي خدمن الرب يسوع من أموالهن، هل كن يعلمن أن فعلتهن هذه كانت ستدون للأجيال على صفحات الكتاب المقدس؟ ثم هل ننسى مريم أخت مرثا ولعازر التي أخذت «منًا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتلأ البيت من رائحة الطيب» (يو١٢:٣). ماذا كان غرض مريم؟ هل كان غرضها أن تعلن عن رائحة طيبها؟ هل كانت تريد أن تقوم بعمل فريد تُمتَدح عليه؟ كلا أيها القاريء! بل كان غرضها شخص المسيح نفسه، وهذا ما أكسب عملها قيمة عظيمة وأرسل رائحة طيبها إلى عرش الله. ولم تكن تظن أن ملايين الناس على مر الأجيال سيقرأون عن خدمتها وإخلاصها، ولم يخطر ببالها أن يد السيِّد ستدون صنيعها على صفحات الأبدية التي لا تمحَى.

ولعل هذا يأتي بنا من الجانب الآخر إلى أعمال رديئة عملت

داخل الخيام أو الأسوار أو في السر، لكن أثره بقى إلى أبعد ما يتصور صاحبه. هذا ما حدث مع داود في قضية بثشبع ومعنى اسمها "ابنة القسم" زوجة أوريا الحثي التي كانت جميلة المنظر جدًا (٢ صم١١: ٢).

«وأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها .. وحبلت المرأة» وبعد ذلك قتل داود زوجها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة «وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب» (٢صم١١: ٢٧).

فأرسل الرب ناثان النبي إلى داود وبمثله المؤثر أظهر فظاعة فعلة داود واستدرجه، لكي يدين ذاته ويعترف بخطيته للرب، ثم أعلن له: «هأنذا أقيم عليك الشر في بيتك وآخذ نساءك. أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس» (٢صم١٢: ١١ و١٢).

ووقف داود أمام الله كمذنب بضمير مكسور وقلب مضروب وليس له من وسيلة لإخفاء نفسه وحفظ صيته وسمعته، بل اعترف من قلبه قائلاً: «قد أخطأت إلى الرب». لكن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا (غل٦: ٧).

صحيح إن النعمة تغفر لكن ثمر الخطية لا بد أن يظهر، صحيح أن الرب باركه وغفر له وغسَّله وقَبِلَه، لكن كان عليه أن يحصد

ويذوق ثمار فعلته في الخفاء. فالنعمة أسمعته صوت الغفران والحق أسمعه دوى القضاء المخيف لأن الله لا يشمخ عليه. وقد قال أيوب: «الحارثين إثمًا، والزارعين شقاوة يحصدونها» (أي٤:٨)، «لأن مَن يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا، ومَن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياةً أبدية» (غل ٦:٨).

هذه الآيات واضحة لا تحتاج إلى تعليق، وفي سفر الجامعة يأتي القول: «لأن القضاء على العمل الرديء لا يُجرَى سريعًا. فلذلك قد امتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشَّر» (جا ٨:١١). والحقيقة إن طول أناة الله في توقيع القضاء كان سببًا في خلاص كثيرين وتحولهم إلى أوانٍ عظيمة خدمت مقاصد الله كما اختبر بولس وقال: «لكني رُحمت: ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (١تى١:١٦).

أخي .. تعقَّل واجعل طول أناة الله تقتادك إلى التوبة وكن قدوة لمَن حولك، فلما لا تسلك في النور؟! تعقَّل «لأن ليس مكتومٌ لن يستعلن ولا خفي لن يعرف» (مت ١٠:٢٦).

إن ياعيل كانت وحدها بالخيمة لكنها كانت يقظة ومستعدة لأن يستخدمها الرب، فوضعت في قلبها خير شعب الرب ونسيت خوفها وضعفها ولم يخطر ببالها يومًا أن فعلتها ستكون بركة وسبب ترنم الشعب الرب «لأن ليس أحد منا يعيش لذاته».

إنها امرأة دفاقة بالحيوية من طراز خاص. خدمت بما

استطاعت ولم تكن تعلم أن خدمتها سيُنادَى بها على السطوح وأن ما قامت به يتعذر على الرجال القيام به، فبوركت «تبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القيني. على النساء في الخيام تُبارَك» (قض ٥:٢٦). وهنا نشير أن للمرأة دورًا في عمل الرب يمكنها أن تشارك به شرط أن تكون في مكانها الصحيح لتنال التقدير على ذلك من الرب. وهذا يأتي بنا إلى عائلة واحدة تميزت بذكر دور لبناتها في سفر نحميا، فالجميع اشتركوا في العمل وقد كرَّمهم الله بذكر أسمائهم لكن نقرأ في نحميا ٣:١٢ «رمَّم شلوم بن هلوحيش .. هو وبناته»، فالبنات هنا أدخلن أعناقهن في عمل سيِّدهم، وبالتأكيد أن شلوم أباهم كان يهتم بأن يكون لبيته دور في عمل الرب، فأشار لبناته بالدور المنوط إليهن، فقمن بالعمل على أكمل وجه وكُرموا من الرب وسُجل عملهم.

هذا ما قامت به بنات شلوم بن هلوحيش، لكن آه على بيت ألياشيب الكاهن العظيم في نفس سفر نحميا! هذا الكاهن لم يهتم ببيته بل آخرين رمَّمُوا مقابل بيته، فباروخ بن زباي رمَّم إلى مدخل البيت، وبعده رمَّم مريموث بن أوريَّا من مدخل البيت إلى نهايته، وهذا يوضح لنا أن الكاهن العظيم هذا لم يهتم ببيته الخاص كما أنه لم يضع الأقفال والعوارض في الباب الذي أقامه، لقد ترك بيته وبابه عرضة لهجوم العدو، وبالطبع كان هناك هدف في رأس ألياشيب الكاهن وسبب وراء عدم وضع الأقفال والعوارض في الباب. وكما دون لنا الوحي الإلهي ما عملته ياعيل في الخيمة

وحدها وكان سبب بركة لها ولشعب الرب، دُوِّن لنا لفائدتنا السبب في عدم وضع الأقفال والعوارض من ألياشيب الكاهن، فقد كان ألياشيب الكاهن مرتبطًا بصداقة مع طوبيا العموني وسنبلط الحوروني اللذين تحالفَا مع جشم العربي لمقاومة خطط نحميا لإعادة بناء أسوار أورشليم. لذا لم يستطع ألياشيب أن يبني السور، بل علاوة على ذلك، فقد أعدَّ ألياشيب لطوبيا غرفة كبيرة في بيت الله، فلا عجب في أنه لم يضع الأقفال والعوارض على بابه ليترك الطريق مفتوحًا!! وهكذا صار ألياشيب ذلك الرجل الذي كان ينبغي له أن يسير مع الله سبب عثرة، لقد ادعى الانفصال لكي يكون ضمن المنفصلين، ولكنه حرص على أن لا يضع الأقفال والعوارض لكي يكون على اتصال برجل السامرة صاحب التعليم المختلط الفاسد لكي يفسح مجالاً لدخول مثل هؤلاء، وهذا هو الزوان وسط الحنطة والخمير وسط أكيال الدقيق.

وما فعله ألياشيب الكاهن هو نفس ما قام به حابر القيني زوج ياعيل «لأنه كان صلح بين يابين ملك حاصور – ورئيس جيشه سيسرا – وبيت حابر القيني» (قض ٤:١٧)، لكن مع الفارق، فبيت حابر به ياعيل، التي وإن كانت تحت نير متخالف، إلا أنها وهي في خيمتها حرصت عمليًا على بناء سور الانفصال وحاربت بمفردها وانتصرت وبُوركَت.

ربما يكون حابر قد تصالح مع ملك حاصور بادعاء المحبة

ورحابة القلب والحيادية، أو ربما لأغراض و منافع مادية وهذا ما يفعله الكثيرون في هذه الأيام، إذ يتركون أبوابهم غير محكمة والأسوار غير مبنية ويدعون أن هذا تجنب لروح الطائفية أو أنها مجرد لياقة ومسايرة!!

آه! إنه الطريق الذي يظهر مستقيمًا «توجد طريقٌ تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طُرق الموت» (أم ١٦:٢٥).

تحذر يا أخي «ليتجنب الإثم كل مَن يسمِّي اسم المسيح» (٢تي٢:١٩)!

إن الإثم قد يأتي في صورة ملذات أو مسرات أو شهوات جسدية، لكنه قد يأتي أيضًا في صورة صداقات العالمية سواء لإشباع هذه الرغبات الدونية أو المناصب عالمية، لكنها في جميع الحالات لن تخرج عن أنها جري وراء الجيف والرمم، كما يجري الغراب النَّجس وراء كل ما تنبعث منه الروائح الكريهة.

فهيا بنا للانفصال عن العالم، فنحن غُرباء ونُزلاء نسكن الخيام، كما سكنت ياعيل وانتظرت أن يستخدمها الرب وحاربت وانتصرت على رمز من رموز الشيطان، وهو سيسرا، فترنم شعب الرب بأطول ترنيمة في الكتاب من ترانيم النساء السبع (قض ٥).

- الخبز الحي (إنجيل يوحنا آية، آية) - الجزء الأول.
- الخبز الحي (إنجيل يوحنا آية، آية) - الجزء الثاني.
- بلسان النفس المضطربة (مز٢٣).
- صرخة من موضع العذاب (قصة الغني ولعازر لو١٦).
- عمانوئيل (تفسير إنجيل متى آية، آية).
- لا تخف! دعوة للتحرر من الخوف.
- تأملوا الغربان! دعوة للتحرر من القلق.
- اذكروا امرأة لوط!
- تنظيف الشباك وإصلاحها.
- نشيد القوس (علموا أولادكم!).
- ثمار الصحراء.
- أمثال الرب يسوع.

***